جوانب من الأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر خلال القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م

د. بطل شعبان محمد غرياني(•)

مقدمة:

ظل كثير من الباحثين في تاريخ المجتمعات الإسلامية يعتمد حتى عهدٍ قريب على النصوص المدونة في المصادر التاريخية فقط. وقليل هم أولئك الذين قرروا المغامرة خارج هذا السياق فنبشوا في مصادر جديدة لاستكشاف الجوانب الغامضة من تاريختلك المجتمعات، فنقبوا في المتون الفقهية والنوازلية، وكتب الطبقات والتراجم، وكتب الكهانة والسحر والشعوذة، بالإضافة إلى كتب المناقب والكرامات التي ترجمت للمتصوفة. ومن الصنفين السابقين تحديدًا (كتب الكهانة والسحر، وكتب المناقب) يبدو بوضوح لماذا يُعد الباحثون في هذه الفروع مغامرين فعليًا، ذلك أن خوارق العادات التي يذخر بها هذان الصنفان فضلاً عن انحرافهما كثيرًا عن ضوابط الشريعة الإسلامية؛ جعلت نظرة بعض الباحثين مؤسسة على عد تلك الكرامات والمناقب مجرد شوائب وأساطير وخرافات يستحسن الاستغناء عنها؛ ومن ثم عدم اعتمادها في المرجعيات التاريخية(١).

ورغم المبالغات والخرافات التي تحويها الروايات الأسطورية، أو الشطحات وخوارق العادات التي تتضمنها كتب المناقب(٢)، تبقى لها قيمتها البالغة، فرواية الأسطورة وكذا الكرامة أو المنقبة تكون لغرض ما اجتماعي أو ذهني أو ديني أو اقتصادي أو حتى سياسي، إضافة إلى ما تحمله من دلالات مهمة تتعلق بذهنية العوام "المريدين"؛ ومن ثم تعد مدخلاً لفهم التاريخ الشعبي ومدى التواصل بين الشعوب، وبصفة خاصة أنه ليس كل من تصوف فقد انحرف عن جادة الطريق.

في ضوء ما سبق، تأتي هذه الدراسة بعنوان "**جوانب من الأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصرخلال القرنين ٦-٧هـ/١٢-١٣م**"، في محاولة لإعادة النظر في دور شريحة مهمة من شرائح الجالية المغربية –من أهل المغرب الأقصى– في

•مدرس التاريخ الإسلامي– كلية الدراسات الأفريقية العليا– جامعة القاهرة

مصر خاصة والمشرق الإسلامي عامة، وهي شريحة المتصوفة، اعتمادًا على كتب المناقب، والطبقات.

وتنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يبحث في مصدر عيش المتصوفة المغاربة الذين ارتحلوا للمشرق لتأدية فريضة الحج، وطلبًا للعلم، وتحقيقًا لرغبتهم في السياحة الدينية وزيارة أولياء المشرق وزُهَّاده. وانطلاقًا من تلك الأهداف صاغت مصادر الفترة الزمنية للبحث على اختلاف أصنافها دور المتصوفة المغاربة في حدودٍ محكمة تتمثل في ظرفية ثقافية دينية، متمثلةفي الأهداف سابقة الذكر. وكان على هؤلاء المتصوفة أن يمروا بمصر التي احتلت موقعًا مهمًا على طريق الحج، فضلاً عن مكانتها الثقافية المتميزة، فوجدوا فيها فرصة للالتقاء بكبار العلماء والفقهاء والمتصوفة القاطنين بمصر؛ فتسارعت كتب المناقب والطبقات، وكتب الفقه والمصادر التاريخية، لتؤرخ لهذه الحالة بهدف إثبات التكوين العلمي لمتصوفة المغرب الأقصى في المشرق، أو تأثيراتهم الثقافية هناك أو كراماتهم ومناقبهم في أثناء الرحلة.

وموازاة مع هذا تسوق المصادر التاريخية عددًا من القرائن الدالة على استفادة الجالية المغربية عمومًا بالمخصصات المادية والعينية التي قررها سلاطين مصر للمغاربة خاصة، وللغرباء عامة. وترسخ تلك الإشارات لفكرة اعتماد متصوفة المغرب الأقصى وغيرهم من الغرباء على هذه المقررات في معاشهم.

بيد أنه من خلال الاطلاع على الإشارات المتفرقة والعابرة في متون كتب المناقب وطبقات المتصوفة، يتأكد أن متصوفة المغرب الأقصى اشتغلوا ببعض الحرف في مصر إبان فترة هذا البحث؛ لكسب معاشهم. لكن الهدف الذي دُونت لأجله هذه المصادر، والمتمثل في حصر كرامات هؤلاء المتصوفة، وحرصهم على أداء فريضة الحج، وطلب العلم، ولقاء أقطاب الفكر الصوفي بمصر والمشرق، ومطالعة أهم مدونات المتصوفة هناك، أدى مع الأسف، إلى حصر دور أهل المغرب الأقصى المقيمين بمصر عامة في الجوانب المناقبية والدينية والثقافية، دون إعطاء صورة مدققة لأوجه المعاش الخاصة بتلك الجالية.

ومع غلبة التفاصيل سالفة الذكر، تصعب مهمة الكشف عن الأوضاع المعيشية لمتصوفة المغرب الأقصى المقيمين بمصر، ويصبح الإلمام بكافة عناصر الموضوع

المطروح للبحث أمرًا بعيد المنال، لكن هذه الدراسة تسعى لإجراء مسح عام للأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى بمصر خلال القرنين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، استنادًا لإشارات وشذرات من النصوص التي تتقاسمها المصادر على اختلاف أنواعها، والاعتماد على قواعد منهجية نربط من خلالها الخاص بالعام، والنبش في ثنايا الإشارات الواردة بالمصادر الدفينة التي تعمل على حل الكثير من إشكاليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي(٣).

أما سبب اختيار فترة القرنين السادس والسابع للهجرة، فيرجع إلى ما عرفه هذان القرنان من ازدهار للتصوف في المغرب الأقصى، تجلى ذلك في كثرة الرحلة العلمية للمشرق، وبروز عدة تآليف في هذا المجال نتيجة ازدياد العناية بالمُنقطعين والزُهَّاد والوَالِهِين(٤). ولذا عُدت هذه الفترة بأنها فترة التآليف الصوفية(٥). وخلال تلك الفترة أيضًا بدا المتصوفة أكثر قدرة على الاندماج في المجتمع الإسلامي عامة، والمغربي خاصة، فكرًا وممارسة، وبات التقارب بين المتصوفة والفئات الشعبية أكثر وضوحًا(٦)، في ظل ما فرضته الدولة الموحدية (٥١٥-٦٦٨هـ/١١٢١-١٢٦٩م) من تزمت عانى منه المغاربة، لاسيما البسطاء من أهل الريف والبادية(٧). وهي أوضاع كانت محفزة للمتصوفة للأخذ بأيدي أولئك البسطاء، وحثهم على العمل، وعدم التواكل سواء في فترة مقامهم في المغرب، أم في بلدان المشرق التي رحلوا إليها.

الدراسات السابقة:

في ضوء ما طرحته المصادر من شهادات تتعلق بالجالية المغربية وظروف إقامتها في مصر، كان من الصعب أن نجد دراسة تبحث في مصادر عيش هذه الجالية، لاسيما الحرف التي عمل بها المغاربة المقيمون في مصر، باستثناء ما تعلق فقط بالنشاط التجاري، وفي هذا الصدد تأتي دراسة الباحث أحمد السيد محمد زيادة عن "التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي"(٨). وتناقش هذه الدراسة نشاط التجار الأجانب في مصر بما فيهم عموم التجار المغاربة من أهل المغرب الأقصى، والأوسط، والأدنى، وتجار الأندلس إبان العهد الفاطمي، ولاسيما دور التجار اليهود المغاربة استنادًا لما ورد في وثائق جنيزة القاهرة.

وتأتي في ذات السياق دراسة الدكتور أحمد عبد اللطيف حول إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر الإسلامية منذ بداية عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي(٩). وتقع الدراسة في جزأين، الأول اختص بتتبع الدور السياسي للمغاربة والأندلسيين، أما الثاني فقد تتبع الدور الحضاري، فعرض لدور المغاربة والأندلسيين في نظم الحكم والإدارة، والحياة الاقتصادية، والاجتماعية، وأخيرًا دورهم في العلوم والفنون. وهي بذلك دراسة شاملة لأوضاع عموم المغاربة والأندلسيين في مصر خلال العصر الفاطمي، وتدور معظم صفحات هذه الدراسة حول الدور السياسي لاسيما في العصر الفاطمي الذي عرف اعتمادًا كبيرًا على المغاربة في النواحي الإدارية، بالإضافة إلى إسهامات المغاربة في النواحي الثقافية، وهو أمر يتفق مع طبيعة ما قدمته المصادر من إشارات ومع طبيعة الوجود المغربي في مصر سواء من رافق منهم الفاطميين عند انتقالهم إلى مصر، أم الذين دأبوا على الرحلة لمصر والمشرق عمومًا بهدف الحج وطلب العلم. أما الجانب الاقتصادي الذي غطته هذه الدراسة فقد جاء شاملاً لكل أبناء الجالية المغربية والأندلسية، وليس المغرب الأقصى فقط، كما إنها شملت جميع أوجه النشاط الاقتصادي، فجاء التركيز على النشاط التجاري استنادًا لكونه النشاط الأبرز للمغاربة.

أما هذه الدراسة التي نحن بصددها، فتختص بتتبع سبل عيش شريحة واحدة من شرائح الجالية المغربية من أهل المغرب الأقصى فقط في مصر، ألا وهي شريحة المتصوفة، استنادًا لما ورد في كتب المناقب، وهو ما لم يرد ذكره في الدراستين السابقتين، لاسيما الدراسة الأخيرة التي جاءت كل تراجمها حول متصوفة وعلماء الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة، ونشاط بعضهم الحرفي في مصر، وغابت الإشارات المتعلقة بمتصوفة المغرب الأقصى.

وسوف نتناول هذا الموضوع من خلال العناصر التالية:

أولاً- دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى لبلاد المشرق الإسلامي.

ثانيًا- عوامل اشتغال متصوفة المغرب الأقصى بالأنشطة الحرفية في مصر.

ثالثًا- نماذج من الأنشطةالحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر.

رابعًا- تقييم لتأثير متصوفة المغرب الأقصى في الأنشطة الحرفية في مصر.

أولاً – دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى لبلاد المشرق الإسلامي:

يلحظ المتأمل في تاريخ الغرب الإسلامي كثرة ارتحال المغاربة وتنقلهم إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وظلت الرحلة سمة مميزة لأهل المغرب طيلة العصر الإسلامي؛ دفعهم إلى ذلك موقع المغرب في أقاصي بلاد الإسلام(١٠).

وقد تعددت دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى للمشرق عامة، ولمصر بوجه خاص، ويأتي في مقدمة هذه الدوافع، **الدافع الديني**، حيث شد أولئك المتصوفة رحالهم للمشرق لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم(١١). فهناك أكثر من إشارة في كتب المناقب تثبت حرص متصوفة المغرب الأقصى على أداء فريضة الحج خلال فترة البحث(١٢)، فقد كان شوق المغاربة لزيارة البقاع المقدسة عظيمًا؛ لأنهم أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب، وتكبدوا لأجل ذلك كثيرًا من مشاق السفر ومصاعبه(١٣) من قطع الفيافي، والقفار والجبال، والسهول، والشعاب، والأودية، مع مظنة المهالك، وكثرة قطاع الطرق، وغيرها من مصاعب الطرق البرية(١٤)، أو ما يخص أهوال البحر وعواصفه، ومطامع أصحاب المراكب التي زادت من مشاق الرحلة البحرية(١٥).

ومن المعروف أن مصر مثلت أهم طرق الحج الرئيسة، فكانت معبرًا لابد للحجاج المغاربة من المرور به، وكانت الطريق الطبيعي ونقطة الالتقاء للحجاج والزهاد والمتصوفة والعلماء المغاربة بغيرهم في موسم الحج(١٦). وعُدت الإسكندرية أول محطة تحط بها القوافل المغربية سواء القادمة منها عن طريق البحر أو تلك التي اختارت طريق الصحراء، ولذا سميت "باب المغرب"(١٧). ومن الإسكندرية كان الركب الحجي المغربي ينطلق إلى القاهرة ويمكث بها حتى موعد خروج ركب الحج المصري إلى الحجاز لمرافقته(١٨).

يرتبط بالدافع الديني أيضًا – بالإضافة لرحلة الحج – رغبة متصوفة المغرب الأقصى وزهاده في زيارة الأضرحة والمزارات قصد التبرك، والسياحة الدينية، والتربية الروحية(١٩).

أما الدافع الثاني لارتحال متصوفة المغرب الأقصى إلى المشرق عامة، ومصر خاصة، فيتمثل في **الدافع العلمي**، فالمغاربة زاوجوا بين شعيرة الحج، وطلب العلم ونشره؛

بغية تحقيق المغزى الذي شُرع لأجله الحج، مصداقًا لقول الله تعالى عن الحجيج "لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ"(٢٠).

وانطلاقًا من هذا الهدف، حرص أهل المغرب الأقصى ومتصوفته خصوصًا على الاتصال بالمراكز الثقافية والعلمية في مصر وغيرها من بلاد المشرق، إذ كانت مصر تحتضن الخلافة الإسلامية، وتشرف على الأماكن المقدسة بالحجاز والشام، وتتوفر على العديد من المؤسسات العلمية، وعلى نخبة من رجالات العلم والأدبوالتصوف؛ لذا حرص متصوفة المغرب الأقصى على الارتحال لمصر والمشرق طلبًا للعلم، والتتلمذ على أيدي كبار المتصوفة هناك(٢١). ومنهم الصوفي أبو جبل يَعْلَى من أهل فاس (المتوفى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م)(٢٢)، وعبد الجليل بن وَيْحَلان الدُّكَالي، نزيل أغمات (المتوفى عام ٥٤١هـ/١١٤٦م) اللذين أخذا على أبي الفضل عبد الله بن الحسن الجوهري (المتوفى عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)(٢٣)، وغيره من شيوخ المتصوفة في مصر(٢٤). ومنهم صالح بن محمد بن حرزهم (من أهل القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) الذي رحل للمشرق، وتتلمذ على أبي حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ/١١١١م)، ونقل عنه طريقة تصوفه للمغرب الأقصى(٢٥) كما تلقى العلم الصوفي على يد وجيه الدين أبي حفص السهروردي بالمشرق، فنفذ وقطع المقامات، ثم عاد إلى فاس ونشر بها طريقته في التصوف(٢٦). أما الصوفي النحوي عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت اليَزْدَكْتَنِي الجزولي (المتوفى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)، من أهل مراكش، فقد رحل إلى مصر وتتلمذ على بعض علمائها من أمثال محمد بن بري النحوي (المتوفى عام ٥٨٢هـ/١١٨٧م)(٢٧)، وأبي المنصور ظافر بن الحسين المالكي المصري (المتوفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)(٢٨).

كما رحل عدد من متصوفة المغرب الأقصى لمدينة مكة واطلعوا على بعض مؤلفات متصوفة المشرق من أمثال أبي بكر المطوعي وغيره، ومنهم أبو محمد عبد الله بن موسى الجزولي (المتوفى عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، وهو من أهل سجلماسة(٢٩).

وهناك دافع ثالث جعل متصوفة المغرب الأقصى يرتحلون إلى مصر وبلاد المشرق، يتمثل في **الاضطرابات السياسية وأحداث العنف والقتل**، من ذلك ما رُوي عن سبب

ارتحال أبي العباس أحمد البدوي وعائلته من المغرب الأقصى إلى المشرق عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م والمتمثل في تكرار حالات قتل الشرفاء[٣٠].

وأخيرًا يعد **الخلاف مع ذوي السلطة** واحدًا من أسباب ارتحال بعض متصوفة المغرب الأقصى إلى مصر، فقد هاجر أبو الحسن بن حرزهم (المتوفى عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م)[٣١] إلى مصر وبلاد المشرق، بسبب مواقفه الشهيرة مع ملوك لمتونة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)، إذ كان قويًا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم[٣٢].

وبعد أن تعرفنا على دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى للمشرق، ودوافع استقرارهم بمصر، نتساءل عن العوامل التي دفعت بعض المتصوفة للعمل الحرفي خلال فترة إقامتهم بمصر ؟

ثانيًا- عوامل اشتغال متصوفة المغرب الأقصى بالأنشطة الحرفية في مصر:

يلاحظ المتتبع لتاريخ الجالية المغربية بمصر إبان الفترة الزمنية لهذا البحث أو حتى قبلها[٣٣] أن مصادر عيش هذه الجالية اعتمد في الغالب على المخصصات المالية والعينية التي خصصها سلاطين مصر للغرباء عامة، وللمغاربة خاصة. وفي هذا الصدد نجد الإشارات حول مخصصات الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، والأيوبيين (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) من أوقاف للإنفاق على الجامع الأزهر وطلابه وعلمائه، والوافدين عليه. وقد حفظ المقريزي (المتوفى عام ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) نص وثيقة وقفية الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) التي تتضمن حبس بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن للإنفاق على الجامع الأزهر، وغيره من الجوامع[٣٤]. وظهرت الأروقة المخصصة للطلاب والعلماء الوافدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي في الجامع الأزهر، فكان لكل طائفة رواقها الخاص، ومن بينها رواق المغاربة[٣٥].

ويطالعنا ابن جبير (المتوفى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م) بما خصصه السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧٤-١١٩٣م) للغرباء عامة، وللمتصوفة خاصة، من المدارس والمحارس (المساكن المخصصة للغرباء) بمدينة القاهرة. وكان للجالية المغربية نصيبها من ذلك حيث أوقف عليها الأوقاف الكثيرة[٣٦]، بالإضافة لما عينه من غذاء لأبناء السبيل من المغاربة، حيث قرر لكل واحدٍ منهم خبزتين يوميًا مهما كان عددهم. وقد ينتهي

في اليوم إلى ألفي خبزة أو أزيد بحسب القلة أو الكثرة. وزاد اعتناء صلاح الدين بالغرباء عامة حتى إنه أمر بتخصيص حمامات لهم يستحمون فيها، ومارستان للعلاج، وأطباء يتفقدون أحوالهم، ورتب لهم خدامًا ينظرون في مصالحهم من غذاء وعلاج[٣٧].أما المتصوفة فقد خصهم صلاح الدين بعنايته، حيث أوقف خَانْقَاه[٣٨] سعيد السعداء[٣٩] على الفقراء والصوفية الوافدين من البلاد النائية، وذلك في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م. ووقف عليهم كثيرًا من الأوقاف عقارية بالقاهرة، وزراعية بالبهنسا. وجاء في نص الوقفية أن كل من أراد السفر من المتصوفة حصل على ما يعينه في ذلك، بالإضافة إلى ما رتبه لهم صلاح الدين من طعام يومي من الخبز واللحم، وبنى لهم حمامًا بجوارهم.وسكن بهذه الخانقاه ثلاثمائة صوفي، وكانت الأولوية للغرباء[٤٠].

كما استفاد أهل المغرب الأقصى من الدراسة في بعض المدارس الأيوبية في مصر والأوقاف المخصصة للغرباء من طلاب العلم، بدليل ما ذكره الرحالة ابن رشيد السبتي (المتوفى عام ٧٢١هـ/١٣٢١م) عن زيارته للمدرسة الفاضلية التي بنيت عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وكانت هذه المدرسة موقوفة على فقهاء الشافعية والمالكية[٤١]. كما أوقف السلطان الكامل بن الملك العادل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م) المدرسة الكاملية التي أنشئت عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م على المشتغلين بالحديث النبوي، ثم على فقهاء الشافعية[٤٢]، وخصص الأوقاف اللازمة للإنفاق على المدرسة وطلابها وأساتذتها، كما أنشأ فيها منازل لسكنى طلاب العلم والمدرسين[٤٣].

كما خُصصت بعض الخانات للعمل الخيري خلال العهد الأيوبي، فأسهمت في إيواء أبناء السبيل والمسافرين وإطعامهم[٤٤]، وأطلق على الواحد منها "خان السبيل"[٤٥]، ومنها الخان الذي أنشأه الأمير بهاء الدين قراقوش (المتوفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) لأبناء السبيل والمسافرين بغير أجرة[٤٦].

وشهد العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) أيضًا إنشاء بعض السلاطين للمدارس، وتخصيص الأوقاف للغرباء. ويشهد الرحالتان ابن بطوطة[٤٧](المتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) والبلوي[٤٨] (المتوفى عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م) بكثرة المدارس المملوكية ورونقها في أثناء زيارتهما لمصر. وقد استفاد أهل المغرب الأقصى من هذه الأوقاف

المخصصة للمدارس بل إن بعض مدرسيها كانوا من متصوفة المغرب الأقصى، بدليل ما ذكره ابن رشيد[٤٩] عن جلوسه لتلقي الدرس على العالم ضياء الدين أبي الهدى عيسى بن يحيى بن مسعود السبتي الصوفي (المتوفى عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م)، بالمدرسة الظاهرية[٥٠]في شهر رجب سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. ونفس الأمر يقال عن المدرسة الصالحية[٥١] التي زارها ابن رشيد، وتلقى العلم بها في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م[٥٢].

ورغم تأكيد المصادر على كثرة هذه المخصصات بشقيها المادي والعيني، واستفادة الجالية المغربية منها، يُفهم من الشذرات الواردة في المصادر أن بعض متصوفة المغرب الأقصى الذين أقاموا بمصر عملوا في بعض الحرف، فما هي العوامل التي أدت إلى هذا ؟

يتمثل **العامل الأول** في حرص الكثيرين من متصوفة المغرب الأقصى وزهاده على تطبيق التزامهم مبدأ الاعتماد على النفس في كسب العيش، مع الوضع في الحسبان ما أثبتته الإشارات المصدرية من كثرة رحلة صُلحاء المغرب وزُهَّاده ومتصوفيه إلى مصر وبلاد المشرق، وانتظام هذه الرحلات عامًا تلو الآخر، فبات طبيعيًا أن تشكل هذه الشريحة أغلب الجالية القاطنة بمصر من أهل المغرب الأقصى، وهي نتيجة لكثرة أبناء هذه الشريحة بالمغرب[٥٣]. ولم يبالغ بعض الباحثين حينما ذهب إلى أنه ليس في بلد إسلامي آخر ما يعادل المغرب الأقصى في عدد أوليائه وعلمائه[٥٤].

ويبدو من خلال ما تواتر في كتب المناقب وطبقات الصوفية أن بعض متصوفة المغرب الأقصى وزهاده الذين رحلوا للمشرق، ومروا بمصر، وأقاموا بها، حرصوا على كسب عيشهم من كد أيديهم، والاشتغال ببعض الحرف وإيجاد سبيلٍ لكسب العيش.فلكي يستطع المغاربة القادمون للمشرق برسم الحج، وطلب العلم، إنجاز مهمتهم، كان لابد من احتراف أوجه المعاش المختلفة، كل بحسب استطاعته، وتلك قيمة مهمة أرساها الإسلام[٥٥]. فطلب العلم، أو العبادة كالصلاة، أو أداء فريضة الحج، لم يكن أبدًا فرصة للتواكل، بدليل قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٥٦]. **وقوله جل وعلا:** ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ**

لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[٥٧]. فقد نزلت هذه الآية بعدما أشيع أنه لا حج لتاجر، أو جَمَّالٍ، فأنزل الله تعالى هذه الآية لتخبرنا بأنه لا حرج في ابتغاء الرزق في أثناء أداء فريضة الحج[٥٨].

من هنا، فلا عجب أن نقرأ الكثير عن الزهاد المسلمين – ومنهم المغاربة – الذين لم يمنعهم زهدهم من الاعتماد على النفس وممارسة أوجه المعاش كافة، ولذا وصفهم جواتياين بقوله "كان هؤلاء الزهاد رجالاً عاملين حقًا"[٥٩].فعلى المستوى النظري، يُستشف من التراجم الواردة في كتب المناقب المغربية، وكتب الطبقات، حرص متصوفة المغرب الأقصى على الاعتماد على النفس في المعاش، وأنهم كانوا لا يأكلون إلا من كدهم، فالبَادِسِّيُّ (ولد عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) عدَّدَ مناقب الأولياء، ومنها أنهم: "يشتغلون بما يشتغل به الناس من سائر الحرف والمكاسب، ولا يأكلون إلا من كد أيمانهم، وهم أهل ورعٍ في مكاسبهم"[٦٠].

وقد طبق بعض متصوفة المغرب الأقصى الذين ارتحلوا إلى مصر هذا المبدأ، ومنهم الشيخ العارف أبو محمد شاور السبتي (من أهل القرن السادس للهجرة) الذي ارتحل إلى مصر، ونفذ وصية الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني (المتوفى عام ٥٦١هـ/١١٦٥م)، إذ أوصاه بأن يعتمد على نفسه في الكسب وألا يسأل أحدًا شيئًا[٦١]. أما السيد أبو الحسن الشاذلي[٦٢] (المتوفى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) الذي ارتحل للمشرق وسكن الإسكندرية، فقد أوصاه شيخه عبد السلام بن مشيش (المتوفى عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)[٦٣] عند عزمه على التوجه إلى المشرق بأن يتسغنِ بالله عما في أيدي الناس[٦٤]. وبالفعل أرسى الشاذلي، قيمة الاعتماد على النفس في كسب العيش[٦٥]، فكان يحث أتباعه على الزهد في الدنيا، مع مواصلة أنشطتهم الحرفية، وأن يقوم كل ذي عمل دنيوي بعمله، مع مواصلة السير في طريق أهل العلم والذكر[٦٦]. وأكد الشاذلي هذا المعنى المهم بقوله "وأقبح الناس من يحتال على الخلق في طلب الرزق بطاعة الله وبتلاوة كتاب الله"[٦٧]. كما إن هذا الصوفي الشهير لم يكن يلبس الثياب البالية والخرق والمرقعات التي اعتاد على لبسها المتصوفة، وإنما كان يلبس الثياب الفاخرة، لئلا يُفهم من لباسه أنه بحاجة لعطاء الناس ومساعدتهم[٦٨]. كما أوصى الشاذلي تلميذه أبا العباس المرسي (المتوفى عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[٦٩] ألا يسأل أحدًا شيئًا، وألا يقبل من أحد شيئًا[٧٠]. وبالفعل نفذ أبو

العباس المرسي هذه الوصية، فكان يخرج إلى ساحل البحر في الإسكندرية ليلتقط القمح المتناثر على الشاطئ حين كانت ترفعه المراكب(٧١).

كما عد المتصوفة العمل من أجل كسب العيش بابًا للتقرب إلى الله، يتضح ذلك من قول الصوفي أبي جعفر محمود بن يوسف الصنهاجي التادلي (المتوفى عام ٦٠٨هـ/١٢١١م)، الذي قال: "كنت أعامل الله في ثلاث صيد البحر وزريبة النحل وبستان غرسته بيدي، فكنت أقسمه ثلاثة أجزاء، جزء لحملة القرآن المنقطعين لقراءته وجزء لأهلي والوافدين عليَّ من إخواني في الله وجزء لشيخي أبي يَعْزَى"(٧٢).

وتبرهن عدد من الإشارات الأخرى على حرص متصوفة المغرب الأقصى الذين ارتحلوا للمشرق واستقروا بمصر، على تطبيق مبدأ الاعتماد على أنفسهم في تدبير سبل معاشهم، منها ما يتعلق بأبي العباس أحمد بن عبد العزيز السلالجي المراكشي (المتوفى عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، الذي كان يجتهد في كسب معاشه بنفسه، وكان إذا سُمع بخروجه من مراكش قاصدًا المشرق، يشيعه المريدون ويهادونه بأنواع الثياب، فيوزعها على الفقراء، ويبقى بمرقعه، وكان يسافر على التجرد، وليس معه شيء من الزاد، وكان يعمل بيده فيطعم إخوانه من كد يمينه(٧٣). ومنها أيضًا ما ورد في ترجمة أبي علي حسن بن علي المطغري المؤذن المراكشي، الذي رحل للحج، وتوفي في الإسكندرية عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، وكان يعيش من كد يمينه(٧٤).

لقد فهم متصوفة المغرب الأقصى المعاني التي حثت على العمل، والتي جاءت في الكتاب، والسنة النبوية، فلم يقروا أن يعيشوا عالة على غيرهم،بل نبذوا الفكر التواكلي(٧٥)؛ لذلك قدروا قيمة العمل فكانوا يعملون ويكسبون رزقهم، وفي الوقت ذاته لا يصرفهم ذلك عن عبادة الله. فالكسب عندهم فضيلة تحرر الإنسان من ذل المسألة، ويعني الكسب أن يكون الصوفي مشتغلاً بشتى الحرف، والتجارات، وغير ذلك مما أباحته الشريعة على تيقظ، أو تثبت بعيدًا عن الشبهات؛ فتمسكوا بهذه المعاني وعاشوا من كد أيديهم(٧٦).

وجدير بالذكر أن بعض التراجم تثبت أن متصوفة مصر طبقوا أيضًا مبدأ الاعتماد على النفس في كسب العيش خلال نفس الفترة، يستدل على هذا من ترجمة الشيخ كمال الدين عبد الظاهر (من أهل القرن السادس للهجرة) الذي كان يعتمد على كد يمينه في

العيش، فكان يمارس الفلاحة، وخياطة الثياب[٧٧]. وكان أبو القاسم القباري (المتوفى عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م) له بستان يزرعه ويعيش من كده[٧٨]. كما كان أبو محمد عبد الله المرجاني الإسكندري (المتوفى عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) من أصحاب أبي الحسن الشاذلي، بالرغم من مكابدته للفقر، يعيش من كد يمينه[٧٩].

من هنا يتضح أن مبدأ الاعتماد على النفس، والزهد عما في أيدي الناس كان أحد أهم الدوافع التي حدت ببعض متصوفة المغرب الأقصى للاشتغال ببعض الحرف خلال فترة إقامتهم في مصر وبلاد المشرق بوجه عام، تلك الفترة التي كانت تمتد لأكثر من ثلاثة عقود أحيانًا.

أما **العامل الثاني** الذي وجه متصوفة المغرب الأقصى نحو العمل الحرفي في مصر أو غيرها من بلدان المشرق الإسلامي، فيتمثل في طول المدة الزمنية للرحلة إلى مصر والمشرق، وطول مدة إقامة بعض متصوفة المغرب الأقصى هنالك، وهو ما أدى إلى ضرورة الاشتغال بحرفٍ متنوعة، يكسب منها هؤلاء المتصوفة عيشهم، فخلال القرن السادس للهجرة نجد على سبيل المثال، أن أبا جبل يعلَى من أهل فاس (المتوفى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م)، الذي رحل للحج، ودخل مصر، امتدت فترة إقامته بالمشرق لتسعة أعوام[٨٠]. وأقام أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن تومرت (المتوفى عام ٥٢٥هـ/١١٣٠م)، خمسة أعوام بالمشرق، بعد أن حج، واستقر مدة بمصر، ثم رجع للمغرب[٨١]. أما عبد الرحيم القناوي، (المتوفى عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م) وهو من أهل سبتة، فقد أقام بمكة سبع سنوات، ثم جاء إلى مصر، واستقر بمدينة قنا وعاش بها حتى وفاته[٨٢]. ومكث أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحُطَيْئَةَ الفاسي بمصر سبعًا وعشرين عامًا حيث استوطنها منذ عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م حتى وفاته عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م[٨٣]. وقضى الشيخ محمد الجزولي (المتوفى عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م) من أهل مدينة فاس أربعين عامًا بالمشرق[٨٤] منها عشرين عامًا قضاها في مصر[٨٥].

وبالنسبة للإشارات المتعلقة بمتصوفة القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، فتدل إحداها على إقامة محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي (المتوفى عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م) خمسة عشر عامًا[٨٦]في المشرق[٨٧]. كما بلغت مدة إقامة أبي يحيى بن

أبيبكر بن محيو الصنهاجي المراكشي (المتوفى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م) أحد عشر عامًا في مصر[٨٨]. واستقرأبو الحسن الشاذلي في مصر منذ عام ٦٤٢هـ/١٢٤٤م حتى وفاته بصحراء عيذاب خلال رحلته للحج عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[٨٩]. كما إن الصوفي الشهير السيد أحمد البدوي الذي قدم من فاس إلى مصر، استقر بمدينة طنطا ثمانٍ وثلاثين عامًا من سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م حتى وفاته بها في سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٩٠].

وفضلاً عن طول الفترة الزمنية لإقامة متصوفة المغرب الأقصى في مصر والمشرق، تثبت النصوص المناقبية أن بعض المتصوفة تكررت رحلات حجه، رغم مشاق الرحلة، وما تحتاجه من مالٍ وزاد. يتأكد هذا من ترجمة الصوفي أبي زكريا يحيى بن موسى المليجي (شيخ عبد الخالق بن ياسين الدغوغي المتوفى عام ٥٧١هـ/١١٧٥م)[٩١]، الذي كان يحج كل عام[٩٢]. ورجل آخر من أهل مدينة أغمات إيلان[٩٣] كان يحج كل عام أيضًا[٩٤].

ورغم طول الفترة الزمنية لإقامة متصوفة المغرب الأقصى بمصر، ظل بعضهم متمسكًا بمبدأ الاعتماد على النفس والعيش من كد أيمانهم، بل وزهد بعضهم في الأعطيات التي كانت تمنحها السلطة في مصر للغرباء عامة، وللفقهاء والزهاد خاصة. والدليل على ذلك أن الصوفي أبا العباس أحمد بن الحُطَيْئَةَ الفاسي كان يعتمد على كد يمينه، ورفض أكثر من مرة زيادة الجامكية (العيدية) المقررة له ولغيره من الزهاد من طرف الخليفة الفاطمي، حيث كان الواحد منهم يتلقى ثلاثة دنانير كل عام خلال الاحتفال بعيد الأضحى[٩٥]. ومن دلائل اعتماد بعض متصوفة المغرب الأقصى على أنفسهم في أثناء وجودهم في مصر، وزهدهم في أعطيات السلطة ما ورد في ترجمة عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْت اليَزْدَكْتَنِي الجزولي، وهو من أهل مراكش، الذي رحل إلى مصر، ويذكر عنه أنه لم يسكن مدرسة من المدارس المخصصة لطلاب العلم من الغرباء رغم معاناته من الفقر والفاقة، وإنما كان يخرج إلى الضياع فيُحصِّل ما يقوم بنفقته وهو غاية في القلة وضيق المعيشة[٩٦].

ولم يكن الأمر وقفًا على الزهد في أعطيات السلطة فقط، بل تعداه إلى زهد بعض متصوفة المغرب الأقصى فيما كان يقدمه لهم بعض الفقهاء أو المُوسرين من مساعدات تعينهم في رحلتهم، فيذكر عن أبي جبل يعلَى الفاسي، أنه لما عزم على الرجوع من مصر

إلى فاس كان يحضر درسًا للفقيه أبي الفضل الجوهري بجامع عمرو بن العاص، وحاول الجوهري إعطائه بعض الدراهم لتعينه في سفره، فرفض[٩٧]. كما رفض أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي (المتوفى عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م) مساعدة من هذا القبيل، إذ كان له مولىً أعتقه فتوجه هذا المولى إلى مصر وعمل هناك وسار صاحب مالٍ وفير، وعندما قصد أبو زكرياء الحج، مر بمصر، ولقي هذا المولى، فقدم له ستين دينارًا فرفض قبولها، وطلب منه أبو زكرياء أن يكتري له جملاً ليحمله إلى مكة، ففعل[٩٨].

ويقدم ابن الحُطيئة الفاسي دليلاً آخر على زهد بعض متصوفة المغرب الأقصى فيما يقدم لهم من أعطيات في مصر، وإعراضهم عنها، فكان لا يقبل لأحدٍ شيئًا، رغم أنه كان عالمًا بارزًا مقدمًا في القراءات السبع وعلم الأدب واللغة[٩٩]. وأخذ ينسخ الكتب ويأكل من نسخه. ويُروى أن أحد التجار جاءه بمئزرٍ صوف، وأقسم عليه أن يقبله منه، فقبله، ولكنه تركه في موضعه ثلاثين عامًا[١٠٠]. كما تصادف خلال إقامته بمصر وقوع مجاعة اشتد فيها الحال، فمشى إليه بعض أجلاء المصريين، وسألوه أن يقبل منهم مساعدة، فامتنع أشد الامتناع وظل يأكل من أجرة النسخ حتى زالت الشدة[١٠١].

وتؤكد هذه الإشارات أن بعض متصوفة المغرب الأقصى لم يكن يعتمد في معاشه على أعطيات السلاطين، أو الموسرين، وإنما كان يعيش معتمدًا على عمل يده.

وهناك **عامل ثالث** دفع متصوفة المغرب الأقصى للعمل الحرفي، يتعلق بفترة هذا البحث وهي فترة القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، التي تأجج فيها الصراع الإسلامي الصليبي على أرض مصر والشام في الأساس. وقد أحدث الوجود الصليبي في مصر والشام انتكاسة نفسية بالغة على الصعيد الجماعي والشعبي. ومع إخفاق القيادات السياسية والعسكرية، تطلعت الجماهير إلى زعامات أخرى لا تملك السلطة، بل ترفضها، فكان الالتفاف حول العلماء والزهاد والمتصوفة ليقدموا لهم الحل الناجع لمشكلات الأمة، وهو ما يفسر تنامي الظاهرة الصوفية في تلك الفترة، ودعم الأيوبيين، ثم المماليك لها، فشيدوا الخانقاوات والزوايا للمتصوفة[١٠٢]. وتلك ظروف كانت كفيلة بأن يقدم المتصوفة المغاربة القدوة في التفاني والعمل، ومساعدة المساكين والفقراء[١٠٣]، والكفاح والجهاد، ورفض السلبية والتواكل.

ومن مظاهر هذه الفترة أيضًا وقوع بعض المجاعات وهي حوادث كانت تؤثر على جميع سكان مصر. وطبيعي أن تتأثر أوضاع عموم الجالية المغربية بمصر في أوقات الشدة والأزمات، فلما وقع الغلاء بمصر في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣٠م) قلت الأقوات، وارتفعت أسعار القمح. ويروي ابن إياس (المتوفى عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) حادثة تبين تأثر وضع المغاربة جراء هذه الشدة، فيذكر أن رجلاً دخل على أحد المغاربة في وقت الغلاء، فوجده يأكل رغيفًا، فطلب مقاسمته هذا الرغيف، فرفض(١٠٤). لكن تفصح بعض النصوص عن تطوع بعض المغاربة لمساعدة الفقراء احتسابًا لوجه الله تعالى، ومنهم فتح بن عثمان الأسمر التكروري المراكشي (المتوفى عام ٦٩٥ هـ/١٢٩٥م) الذي قدم من مراكش إلى دمياط، وكان يسقي الماء في الأسواق احتسابًا من غير أن يأخذ من أحدٍ شيئًا(١٠٥).

هكذا تعرفنا على دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى للمشرق عامة، ولمصر خاصة، وعرضنا للعوامل التي دفعت أولئك المتصوفة للاشتغال ببعض الحرف في أثناء رحلتهم للمشرق، وإقامتهم في مصر. فما هي هذه الحرف التي تكسب منها متصوفة المغرب الأقصى قوتهم خلال إقامتهم في مصر ؟

ثالثًا- نماذج من الأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر:

بالرغم من صمت المصادر عن تتبع الحرف التي عمل بها بعض زُهَّاد ومتصوفة المغرب الأقصى في مصر، فإن بعض الإشارات التي وردت في كتب المناقب تفصحعن زهد الكثيرين من هؤلاء المتصوفة الذين كانوا يسافرون إلى المشرق برسم الحج، ويمرون بمصر، وبالتالي دفعهم زهدهم للاشتغال ببعض الحرف.

١- حرفة الفلاحة وتربية الماشية:

تندر الإشارات المتعلقة بممارسة متصوفة المغرب الأقصى للنشاط الفلاحي في مصر، وهذا أمر بدهي؛ فهذا النشاط تحديدًا يحتاج إلى استقرار لفترات طويلة، فضلاً عن الحاجة لملكية وسائل الإنتاج الفلاحي، لاسيما الأرض. ورغم هذا فمن المرجح أن بعض متصوفة المغرب الأقصى قد عمل بالنشاط الفلاحي، يستشف هذا من ترجمة أبي زكرياء يحيى بن لَا الأَذَى الزِّجْرَاجِّي (من أهل القرن السادس للهجرة) من أهل بلد ونكيلة بوادي

شفشاون، وممن مر بمصر في رحلته للحج. وتدل ترجمته على أنه كان يدبر أمر معيشته فكان يحرث ليكفي نفسه السؤال[١٠٦].

وقد مارسأبو الحسن الشاذلي النشاط الفلاحي ببلاد المغرب قبل قدومه إلى مصر، وعندما استقر بالإسكندرية خلال القرن السابع للهجرة، أوقف عليه السلطان نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٦هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) برجًا يحوي أسفله ماجلاً[١٠٧] كبيرًا، ومرابط للدواب، بالإضافة إلى مساكن للفقراء[١٠٨]، ويرجح أنه مارس النشاط الفلاحي الذي اعتاده في بلاد المغرب، نتيجة سلوكه في الزهد، وحث مريديه على العيش من كسب أيديهم، أعانه على ذلك ما تملكه من الأرض في مصر[١٠٩].

أما الذين لم يتملكوا وسائل الإنتاج الفلاحي، فإن بعضهم عمل أجيرًا في بعض الأنشطة المتعلقة بالفلاحة، ومنها حراسة بعض البساتين والمزارع، يُستشف ذلك من إشارة تتعلق بأبي موسى الدكالي، من أهل سلا (المتوفى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، الذي طلب من أصحابه أن يبيعوا مصحفًا كان قد اشتراه من أجرة حراسة الكروم بالإسكندرية، وأعطاهم سبعة دراهم كان يمتلكها، وطلب منهم أن يكفنوه بثمن المصحف وبالسبعة دراهم بعد موته[١١٠].

وفيما يتعلق بحرفة تربية الماشية، فيُفهم من ترجمة الصوفي حسين الآدمي[١١١] أنه عمل بهذه الحرفة، فكان أصله من مراكش بأرض المغرب وأقام بمصر، ويُذكر من مناقبه أنه كان له بمراكش أرض يزرعها ويرعى فيها غنمه، وأنهلما جاء إلى مصر كان كل يوم يرسل أغنامه مع أحد أتباعه لترعى في مراكش، ثم يرجع بها لتبيت في مصر[١١٢]!!. ومن غير المعقول أن يذهب الراعي بالأغنام من مصر إلى مراكش ويعود بها يوميًا، فهذه الرحلة كانت تستغرق شهورًا بالنسبة للمسافرين المُجِدِّين في سيرهم. وبغض النظر عن المبالغة الواضحة في هذه المنقبة، فالمهم أنه يستدل منها على أن الصوفي المراكشي حسين الآدمي كان يعتمد في معاشه بمصر على تربية بعض الأغنام.

٢- حرفة الاحتطاب:

تُعد حرفة الاحتطاب - وتعني جمع الحطب وبيعه - واحدة من الحرف التي مارسها المتصوفة المغاربة في بلادهم، وكانت مصدرًا لعيش بعضهم، بل كانت دلالة على

إذلال النفس وإرغامها على الزهد والتواضع[١١٣]. ولذلك يُرجح أنها كانت من الحرف المهمة لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر رغم ندرة الإشارات الدالة على هذا. وقد يكون من المفيد هنا لتأكيد الفكرة، الاستدلال بإشارة تسبق زمنيًا فترة هذا البحث، فقد رُوي عن الصوفي أبي الخير الأقطع المغربي[١١٤]التيناتي (من متصوفة القرن الرابع للهجرة)، وأصله من المغرب، وسكن تينات "قرية بالقرب من حلب"، أنه كان يجيء للإسكندرية فيحتطب ويتقوت بثمنه[١١٥]. واستمر العمل بهذه الحرفة أثناء فترة هذا البحث، فيُفهم من ترجمة أبي زكرياء يحيى بن لا الأذى الرجراجي، أنه كان يدبر أمر معيشته بجمع الحطب[١١٦].أما أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التَادِلِّيُّ (المتوفى عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، والذي قصد الحج، ومر بمصر، فقد رفض بعض المساعداتالتي قُدمت له، ورحل إلى مكة وكان يحتطب هناك ويبيع الحزمة بدرهم. وعندما أراد أحد المشترين أن يعطيه عشرة دراهم للحزمة الواحدة رفض هذه الزيادة[١١٧].

٣- حرفة الوراقة ونسخ الكتب:

عمل بعض متصوفة المغرب الأقصى في حرفة الوراقة خلال إقامتهم بمصر، وهي حرفة تطلق على من يقوم بنسخ الكتب والمصاحف، وكتب الحديث وغيرها، أو على من يقوم ببيع الورق أو الكاغد. وأطلق على المشتغلين بهذه الحرفة اسم الوَرَّاقين، والمُصْحَفيين نسبة لنسخ المصحف، وأطلق عليهم أيضًا: النَسَّاخين[١١٨]. ومن المغاربة الذين برعوا في هذه الحرفة في مصر، ابن الحُطَيْئَةَ الفاسي الناسخ (المتوفى عام ٥٦٠هـ)[١١٩] الذي دخل مصر، واشتغل بالوراقة ونسخ كثيرًا من الكتب بالأجرة. وعلم ابن الحطيئة زوجته وابنته هذه الحرفة، فكانتا تكتبان مثل خطه. وكانوا إذا شرعوا في نسخ كتاب، أخذ كل واحد منهم جزءًا وكتبوه، "فلا يفرق بين خطهم إلا الحاذق"[١٢٠]. وقد أقام ابن الحُطيئة بمسجد راشدة في مصر، وأخذ يعلم القرآن، وعقد حلقة لتدريس القراءات، وكان لا يقبل من طلاب حلقته شيئًا نظير دروسه، فكان يرتزق ويكفي مؤونة نفسه من نسخه لكتب الأدب داخل المسجد، وكان يأكل من نسخه[١٢١]. وقد أعان ابن الحطيئة على الاشتغال بحرفته أنه كان ذو خطٍ حسن، مرغوبًا فيه من أئمة العلم بمصر لصحته وتحقيقه[١٢٢]. وقد فسر بعض المؤرخين إقبال

الناس على شراء الكتب التي كان ينسخها ابن الحطيئة، فضلاً عن إتقانها، التماس الناس للبركة فيها، لاسيما أن أهل مصر كان لهم فيه اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه(١٢٣).

ويستفاد من لقب أحد متصوفة المغرب الأقصى أنه اشتغل بحرفة الوراقة ونسخ الكتب في مصر، وهو الصوفي أبو عبد الله محمد الناسخ(١٢٤)، الذي رافق أبي الحسن الشاذلي في رحلته لمصر خلال القرن السابع للهجرة(١٢٥).وممن عمل بهذه الحرفة أيضًا أبو الطيب السبتي نزيل قوص من صعيد مصر، وأقام بقوص سنين كثيرة إلى أن توفي بها عام ٦٩٥هـ/١٢٩٦م. وقد اشتهر أبو الطيب بنسخ الكتب وبيعها، فنسخ كتاب سيبويه، وشرح ابن أبي الربيع للإيضاح، واختصره في مجلد، ونسخ بخطه أيضًا شرح المحصول للقرافي، وكتبًا أخرى كثيرة. وقد وقف نسخًا من هذه الكتب بخزانة الجامع بمدينة قوص(١٢٦).

٤- حرفة الخياطة:

يُستدل من بعض الإشارات، اشتغال بعض متصوفة المغرب الأقصى بهذه الحرفة، ومنهم علي بن محمد المراكشي (من أهل القرن السابع للهجرة)، الذي ارتحل للمشرق وأقام بالقاهرة ستة أشهر(١٢٧)، وأقام بمدينة قُوص. ويذكر أنه بعد رجوعه للمغرب كان يتستر بالخياطة حتى مات، وكان أحد التجار البزازين يعطيه أثوابًا من حانوته، فيخيطها له بالأجرة(١٢٨). وأورد البادسي ترجمة للصوفي عبد الله الطويل، من أهل فاس، الذي روى عن نفسه أنه خاط لبعض المشايخ ثوبًا بالديار المصرية(١٢٩).

ويستشف من من ترجمة أبي عبد الله بن الغربي (من أهل القرن السادس للهجرة، وكان معاصرًا لأبي يعزى المتوفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) أنه عمل بحرفة الخياطة في مصر، بدليل ما رواه عن نفسه أنه كان في سفره للحج أو للسياحة الدينية يحمل سفاطًا دقيقًا يشبه الإبرة للخياطة، ومقاطًا: أي حبلاً دقيقًا(١٣٠)؛ ليأكل حلالاً ويستغن عن السؤال(١٣١).

٥- حرفة الخرازة:

وهي حرفة اختص صاحبها بخياطة الجلد. ومن متصوفة المغرب الأقصى الذين يُستشف من تراجمهم اشتغالهم بهذه الحرفة في مصر، أبو العباس أحمد بن عبد العزيز السلالجي الخراز (المتوفى عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، من أهل الجانب الشرقي من مراكش،

الذي اعتاد السفر دون أن يحمل زادًا، وكان يعمل بيده ويطعم إخوانه من كده، وكانت حرفته الخرازة(١٣٢). وقد سافر هذا الصوفي مع أبي الحسن الشاذلي واستقر معه في مصر(١٣٣).

٦- حرف أخرى:

تورد كتب المناقب إشارات غير مباشرة يفهم منها حرص بعض متصوفة المغرب الأقصى الذين رحلوا للمشرق، ومروا بمصر أو أقاموا بها أحيانًا، على الزهد والعيش من كد أيديهم، وكانوا أصحاب حرف متنوعة في المغرب. ورغم أن هذه النصوص القليلة لا تفصح عن ممارسة أولئك المتصوفة لهذه الحرف في مصر، إلا أنها تبقى مسألة محتملة جدًا نتيجة نهجهم الصوفي في الزهد، واعتيادهم العمل الحرفي في بلادهم. ومن هذه الحرف التي نرجح اشتغال متصوفة المغرب الأقصى بها في مصر، **حرفة صيد الأسماك**، فيذكر عن أبي موسى الدكالي (المتوفى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، أنه كان زاهدًا في الدنيا ولا يأوي إلى أحد، وكان يحج كل عام ويعتاد النزول بمدينة الإسكندرية في رحلته للحج. وكانت حرفة هذا الصوفي بالمغرب هي صيد الأسماك، فكان يجمع "ما يلفظه البحر من مباح الأكل فيبيعه"(١٣٤). كما نرجح عمل بعض المتصوفة المغاربة في **حرفة دبغ الجلود**، بدليل أنأبا علي حسن المطغري المؤذن (المتوفى عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) نزيل الجانب الشرقي من مراكش، الذي استقر بالإسكندرية وتوفي بها، كان يعيش من كد يمينه، وكان يقتات من حرفة الدباغة بمراكش. ويذكر عنه أنه كان إذا استأجره أحد على دبغ الجلود، وغير ذلك كان يشترط على مستأجره أن يتوضأ متى انتقض وضوءه، ويصلي الظهر والعصر في جماعة(١٣٥). كما يرجح عمل متصوفة المغرب الأقصى **بحرفة الجزارة** في مصر، فبعض المتصوفة الذين مروا بمصر كانوا جزارين، ومنهم أبو جبل يَعْلَى (المتوفى عام ٥٠٣هـ)، الذي عمل بالجزارة في مدينة فاس(١٣٦)، وكان ممن يحرص على كسب عيشه بنفسه، ورفض قبول أي مساعدة تعينه في سفره(١٣٧). ومن متصوفة المغرب الأقصىالذين عاشوا في مصر أبو العباس أحمد بن أبي بكر الجزار التجيبي المغربي،وهو من أهل القرن السابع للهجرة. ويفهم من لقبه أنه ربما عمل بحرفة الجزارة في مصر(١٣٨).

وهكذا نجد أن بعض متصوفة المغرب الأقصى الذين مروا بمصر، أو عاشوا فيها، فضلوا العمل الحرفي، ليقيهم ذل المسألة، وليستعينوا به على متطلبات رحلتهم، وتحروا

الكسب الحلال. وهناك بعض الإشارات النادرة التي تثبت مخالفة بعض المتصوفة لهذه المبادئ، واستخدموا الحيل والشعوذة لكسب عيشهم، فيما عُرف بعلم السيمياء[١٣٩] الذي احترفه غلاة المتصوفة[١٤٠]. يستدل على هذا من الحادثة التي أوردها ابن إياس، والتي وقعت في عهد الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م)، وفحواها أن شخصًا مغربيًا دخل إلى الديار المصرية، وكان من علماء فن السيمياء، فأظهر لشخصٍ من الأعيان بستانًا خارج القاهرة من أحسن ما يكون، كثير الأشجار من أصناف الفواكه المثمرة، وفيه خمس سواقٍ دائرة، وبعضالثيران. فلما رآه ذلك الرجل أعجبه فاشتراه من المغربي بألف دينار ودفع له ثمنه، وأشهد عليه المغربي بتسليم ذلك البستان بقاضٍ وشهود، ثم مضى الرجل المغربي إلى حال سبيله. وبات ذلك الرجل في البستان الذي اشتراه، فلما أصبح وجد نفسه بين الكيمان، ولم ير شيئًا من ذلك البستان الذي باعه له المغربي. فلما بلغ الملك العادل ذلك طلب المغربي فلم يجده، حيث أخذ الألف دينار ومضى إلى حال سبيله[١٤١].

وبالنظر لمثل هذه الإشارات يبدو أن أغلب المتصوفة فهموا قيمة العمل وقدروها، يشهد على هذا، ممارستهم للعمل الحرفي في بلاد المغرب قبل ارتحالهم إلى مصر. أما أولئك الذين حادوا عن هذا النهج، وسلكوا سبلاً غير مشروعة لكسب العيش، فالإشارات بشأنهم نادرة جدًا، ولا نجد لهم ذكرًا في كتب المناقب التي اهتمت بأصحاب المقامات العلمية الرفيعة، الذين لم يمنعهم علمهم ولا زهدهم عن الكسب الحلال.

رابعًا- تقييم لتأثير متصوفة المغرب الأقصى في الأنشطة الحرفية في مصر:

رغم أهمية النصوص المناقبية في الكشف عن جانب مهم يتعلق بطرق كسب العيش لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر في أثناء استقرارهم بها، فإن تركيز هذه النصوص على مناقب وكرامات المتصوفة، أفقدنا الكثير من التفاصيل الخاصة بطرق ممارستهم لحرفهم، والعوائق التي تعرضوا لها، لأن الإشارات الخاصة بهذه الحرف جاءت بكيفية مقتضبة وعفوية في تراجم المتصوفة. وبالنظر إلى هذه التراجم التي عرضنا لها لم نشعر بانخراط واضح أو دور مؤثر لهؤلاء المتصوفة في الأنشطة الاقتصادية في مصر، فما هو السبب في ذلك ؟

يرجع غياب تفاصيل النشاط الحرفي لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر أو في بلاد المشرق بوجه عام خلال فترة هذا البحث، إلى إخفاء الكثيرين من المتصوفة للأخبار المتعلقة برحلات حجهم وتفاصيلها، بدافع عدم الرياء في أداء فريضة الحج، فيذكر عن أبي علي مالك بن تماجورت الهُزْمِيري من بلد نفيس، (توفي بمراكش عام ٦١٢هـ/١٢١٥م)، أنه حج أربعين حجة[١٤٢]، ولم يعرف الناس منها سوى حجة واحدة[١٤٣]. أما أبو موسى الدكالي فكان إذا أتت أيام الحج يذهب للحج، قائلاً لأصحابه "أريد أن أزور أهلي، فيغيب أيامًا قليلة ويعود، وبقي على تلك الحالة اثني عشر عامًا". وعندما لقيه واحد من أهل الإسكندرية في مدينة سلا وتعرف عليه، تنكر له الدكالي لئلا يعلم الناس بأمر حجه كل عام. واجتمع أهل سلا على الرجل، فأخبرهم بأن الدكالي يحج كل عام حين يغيب عنهم[١٤٤].

وفضلاً عن هذا الإخفاء المقصود لأخبار الرحلات الحجية للمتصوفة، اتجه النص المناقبي غالبًا نحو إثبات أهمية كرامات المتصوفة في جانب الحصول على الزاد والأقوات التي ساقها الله تعالى لهم خلال سياحتهم ورحلاتهم[١٤٥]. وتلك مسألة تخدم الهدف الرئيس الذي سعى لأجله مؤلفوا كتب المناقب، والمتمثل في اعتماد المتصوفة على كراماتهم[١٤٦] في معاشهم، وفي غالب أحوالهم.

كما يمكن إرجاع ندرة الإشارات المتعلة بالأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر، إلى تركيز المصادر على الأخبار المتعلقة فقط بالهدف الذي جاء لأجله المتصوفة إلى مصر والمشرق وهو الحج وطلب العلم، فاهتمت المصادر برصد طريق الرحلة، وأهوالها ومخاطرها، ثم وصف للأماكن المقدسة، فضلاً عن الأخبار المتعلقة بالعلماء والمتصوفة المشارقة الذين التقى بهم المغاربة في رحلتهم، وجلسوا للسماع بين أيديهم. كما أدى هذا الهدف في تقديرنا إلى ممارسة المتصوفة للأنشطة الحرفية بشكل فردي، تغطية لمتطلبات الرحلة ونفقاتها فقط. وأدى هذا بدوره إلى الحديث عن طوائف[١٤٧] الحرفيين المصريين وإهمال الحديث عما سواها، إذ لم تكن أعداد المتصوفة المغاربة الذين اشتغلوا بالحرف، تؤهل لإنشاء طوائف حرفية يمكنها لفت انتباه المؤرخين والرحالة، لأن أنشطتهم كانت عبارة عن أنشطة فردية كما ذكرنا.

يضاف إلى ما سبقأن الكثيرين من الزهاد والمتصوفة المغاربة كانوا من فئة الحرفيين البسطاء، كالخياطين، والجزارين، والخرازين، والحاكة، والناسخين. وآثرت هذه الفئة الفقر والتقشف والزهد، فكان عملهم الحرفي يهدف لتغطية حاجاتهم المعيشية البسيطة من المأكل والملبس، ولم يكن أغلبهم يسعى لغنى أو ثراء[١٤٨]، فالمقصد العام للمتصوفة هو تأديب النفس بالعيش على الكفاف[١٤٩]،والعزوف عن الدنيا والإقبال على العبادة والزهد في الملذات؛ لما قد ينتج عن الترف من انحراف خلقي[١٥٠]، وهو أمر يفسر بعض الصفات المعبرة عن الزهد والتي أطلقت على المتصوفة مثل "الزاهد" و "المنقطع"[١٥١]. وبذلك جمع متصوفة المغرب الأقصى بين التجرد والتسبب؛ بمعنى التجرد من الحظوظ الدنيوية وليس التملص من طلب أسباب الرزق، فاتخذوا وسائل العيش ترفعًا عما في أيدي الخلق، ونصحوا مريديهم باتخاذ الحرف والبعد عن السؤال[١٥٢]. وهي أسباب تفسر غياب الإشارات المتعلقة بالأنشطة الحرفية لمتصوفة المغرب الأقصى في مصر، رغم اشتغالهم فعليًا ببعض الحرف، وتفسر أيضًا لماذا لم يسهم هؤلاء المتصوفة بنصيب وافر في الأنشطة الاقتصادية في مصر.

ورغم هذا تبقى للنص المناقبي – مقارنة بالنصوص المصدرية الأخرى – قيمته في الكشف عن بعض الجوانب المهمة المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للمتصوفة، بل وللمجتمع المحيط بهم، وهي مسألة تستلزم تجاوز الكرامات والمناقب من حيث صحتها أو زيفها ومجانبتها للواقع، مع محاولة الكشف الدقيق عن خبايا النص ومضمراته، فكل المناقب مهما اختلفت درجة ارتباطها بالواقع أو مفارقتها له يمكن أن يستخرج منها دلالات باطنية مهمة[١٥٣]، لاسيما أن كتب المناقب حاولت تمرير الخوارق وتنظيمها وسط الحدث التاريخي[١٥٤]، فهي لا تستغني إذًا عن سياق الحوادث التاريخية العامة[١٥٥].

خاتمة

أسفر البحث في هذا الموضوع عن عدد من النتائج، يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

تأكد من خلال هذا البحث أن دوافع ارتحال متصوفة المغرب الأقصى إلى مصر، وبلاد المشرق بوجه عام، والمتمثلة في أداء فريضة الحج، وطلب العلم، والسياحة الدينية، قد جعلت بعض المتصوفة يستقر لفترات زمنية طويلة في مصر، بل إن بعضهم فضل العيش بها حتى وفاته، ساعد على هذا ما وجدوه من ترحاب ومعاملة كريمةسواء من عامة المصريين، أم من السلطة الحاكمة التي اتبعت سياسة أحسنت من خلالها معاملة الغرباء عامة، والمغاربة خاصة، وخصصت لهم ما يعينهم على إقامتهم.

غير أن الدراسة أثبتت من خلال الاطلاع على الإشارات الواردة في كتب المناقب أن بعض متصوفة المغرب الأقصى، فضلوا الاشتغال ببعض الحرف التي يحصلون من خلالها على أقواتهم؛ دفعهم لهذا زهدهم وحرصهم على العيش من كد أيديهم، فضلاً عن اعتيادهم العمل الحرفي في بلاد المغرب. ومن هنا تبدو قيمة المصادر غير المعتادة في دراسة التاريخ، ومنها كتب المناقب.

وبرهنت الدراسة عمليًا على اشتغال متصوفة المغرب الأقصى ببعض الحرف خلال وجودهم بمصر، أهمها الفلاحة وتربية الحيوانات، والاحتطاب، والوراقة، والخياطة، والخرازة، والجزارة، بالإضافة إلى بعض الحرف الأخرى. لكن ممارسة هذه الحرف كانت بدافع الحاجة لتحصيل الزاد فقط، فلم يسعَ المتصوفة من خلال نشاطهم الحرفي إلى تحقيق ثراء أو كسب مادي كبير، لئلا تشغلهم هذه الحرف عن عبادة الله.

كما بحثت الدراسة عن أسباب ندرة الإشارات المتعلقة بممارسة المتصوفة للنشاط الحرفي، وانتهت إلى أنه بالإضافة إلى إخفاء المتصوفة لأخبار رحلاتهم الحجية وسياحاتهم الدينية بدافع الحفاظ على هذه الأعمال بعيدًا عن الرياء، انصب اهتمام مؤلفي كتب المناقب على تتبع الأسباب غير الاعتيادية لتحصيل الرزق وكسب العيش، فكان الزاد يأتي للزهاد والمتصوفة بفضل كراماتهم ومناقبهم، وخلاف هذا جاء الحديث عن ممارسة المتصوفة للحرف فقط للتأكيد على أن المتصوفة قدموا القدوة في باب التسبب، أي السعي في طلب الرزق.

الهوامش والحواشي

(1) Ephrat, Daphna: In Quest of an Idea Type of Saint: Some Observations on the First Generation of Moroccan Awliyā' Allāh in "Kitāb al-tashawwuf", Studia Islamica, No.94, (2002), p. 67.

(2) Rodríguez-Mañas, Francisco: Encore sur la Controverse entre Soufis et Juristes au Moyen âge: Critiques des Mécanismes de Financement des Confréries Soufies, Arabica, T. 43, Fasc. 3 (Sep, 1996), p. 406.

(٣) إبراهيم القادري بوتشيش: إسهامات في التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، المملكة المغربية، ١٩٩٧، ص ٦٨.

(4) Ephrat, Daphna: Op.cit, p. 68.

عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، المملكة المغربية، ٢٠٠٠، ص ٢٤٨.

(٥) الحسن بنعبو: الجمع بين السلوك والفقه عند صوفية المغرب، مجلة قوت القلوب، تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد الرابع، ٢٠١٤، ص ٤٤؛ حسن جلاب: مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤، ص ١٦٣.

(6) Cahen, Claude: Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie musulmane du moyen âge, III, Arabica, T. 6, Fasc. 3 (Sep., 1959), pp. 233, 234, Le Tourneau, Roger: Sur la Disparition de la Doctrine Almohade, Studia Islamica, No. 32, (1970), pp.200, 201, Ephrat, Daphna: Op.cit, p. 69.

(7) Le Tourneau: Op.cit, p.200.

(٨) أحمد السيد زيادة: التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧ هـ/٩٦٩-١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠٠٧.

(٩) أحمد عبد اللطيف حنفي: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي (٢١-٥٦٧هـ/٦٤٢-١١٧١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، الإصدار رقم ٢٤٥، القاهرة، ٢٠٠٦.

(١٠) الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، المملكة المغربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ج١، ص ٤٨.

(١١) محمد الحاتمي: شعيرة الحج في الرحلات الحجية السوسية، مجلة المذهب المالكي، المملكة

المغربية، العدد ١٤، ٢٠١٢، ص ١٥٩؛ عبد العزيز الضعيفي: علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الاستفادة والإفادة، مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٩، ٢٠٠٤، ص ٣٨٤.

(١٢) منهم علي سبيل المثالالصوفي أبو جبل يعلى من أهل فاس (المتوفى عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)، وأبو عبد الله محمد بن موسى الجزولي (المتوفى عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، وأبو عمران موسى الصاريوي (من أهل القرن السادس للهجرة)، وأبو علي حسن بن علي المطغري المراكشي (المتوفى عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وغيرهم. انظر ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، حققه أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط٢، ١٩٩٧، ص ١٠٢، ١٠٣، ٢٧٧، ٢٨٨، ٣٨٤.

(١٣) محمد المنوني: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، ١٩٥٣، ص ٧؛ المهدي بن محمد السعيدي: أشكال الكتابة الرحلية بالمغرب ومكوناتها المعرفية: نماذج سوسية، المملكة المغربية، مجلة فكر ونقد، العدد ٨٧، ٢٠٠٧، ص ٨٥.

(١٤) المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ج١، ص ٢٠٢؛ الجزيري: درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص ٢٧٦؛ محمد علوي بنصر: مقاصد الحج وغاياته في أول ركب للحجيج المغربي نظمه أبو محمد صالح الدكالي سنة ٦٣١هـ، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، السنة ٤١، العدد ٣٥٠، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٨٠، ٨١.

(١٥) ابن جبير: تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار، حققه وقدم له علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٥٥؛ العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، حققه أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٩، ص ٦٤، ٦٥؛ البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، حققه أحمد سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، ص ٦٥؛ المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٢؛ نوال طلال عبد الله: طريق ركب حجاج المغرب والأندلس من المغرب الأقصى إلى مكة المكرمة منذ القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري، مجلة العقيق، المملكة العربية السعودية، تصدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، المجلد ٢١، العدد ٤١-٤٢، شوال-يناير، ٢٠٠٢، ص ٣٥، ٣٦.

(١٦) التميمي الفاسي: المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، حققه محمد

الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المملكة المغربية، ٢٠٠٢، القسم الأول، ص ١٨٣؛ نوال طلال عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٧.

(١٧) سعد زغلول عبد الحميد: الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى، ضمن كتاب "مجتمع الإسكندرية عبر العصور"، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ٢٠٨.

(١٨) محمد الكحلاوي: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، منشورات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٥؛ أماني بنت سعيد الحربي: مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ ١٣-١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٥، ص ٥٠.

(١٩) البادسي: مصدر سابق، ص ٧٧؛ الحسن الشاهدي: مرجع سابق، ج١، ص ٣٩؛ جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٢٦.

(٢٠) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٢١) حسين مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٨؛ يحيى بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥، ج٢، ص ١٦؛ أماني الحربي: مرجع سابق، ص ٥٠؛ عبد العزيز بنعبد الله: معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب، الرباط، ١٩٦٣، ج١، ص ٨٢، ٨٣.

(٢٢) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢٣) هو عبد الله بن الحسين المصري ابن الجَوْهَرِيُّ، أحد علماء مصر، حدث عن أبي سعد الماليني، وروى عنه الحميدي وغيره، انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤، مجلد ١٨، ص ٤٩٥.

(٢٤) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢٥) المصدر السابق، ص ٩٤؛ يحيى بو عزيز: مرجع سابق، ج٢، ص١٤.

(٢٦) الساحلي: بغية السالك في أشرف المسالك، حققه عبد الرحيم العلمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٣، ج٢، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٢٧) أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرِّي، عالم مصري اشتهر في علم النحو واللغة، اشتهر بأنه علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره، توفي عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢، ج٣، ص ١٠٨.

(٢٨) القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٢، ج٢، ص ٣٧٩، ٣٨٠؛ أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٩، ج١، ص ٢٠٥.

(٢٩) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٢٧٧؛ حسين مراد: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣٠) الشعراني: كتاب الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، حققه أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢٤٥.

(٣١) ابن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج١، ص ٢٣٤.

(٣٢) التادلي الصومعي: كتاب المُعْزَى في مناقب الشيخ أبي يعزَى، حققه علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المملكة المغربية، ١٩٩٦، ص ٣٢٣.

(٣٣) يستدل في هذا الصدد بما ذكره ابن جبير عن أحمد بن طولون الذي جعل مسجده مأوىً للغرباء المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه، وأنه أجرى عليهم الأرزاق في كل شهر، انظر: تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٥٢، ٥٣. فكان المغاربة ينزلون في هذا المسجد بأبعرتهم ومتاعهم عند مرورهم بمصر في أيام الحج. وتدل إشارة نزولهم بأبعرتهم ومتاعهم أنهم كانوا يتجهون مباشرة نحو هذا المسجد فور وصولهم للإقامة فيه، انظر: أحمد عبد اللطيف حنفي: مرجع سابق، ج٢، ص ١٢٣.

(٣٤) المواعظ والاعتبار، ج٢، ص ٢٧٣- ٢٧٥؛ حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٣-١١٧١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٦٤.

(٣٥) المقريزي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٧٦؛ حسن خضيري: مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٣٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣٨١.

(٣٧) تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار، ص ٢٤، ٢٦، ٣٥، ٣٦.

(٣٨)الخانقاوات، أو الخوانك، جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه: أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي أماكن للصوفية للتخلي فيها لعبادة الله، انظر: المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢٨١.

Fernandes, Leonor: The Evolution of a Sufi Institution in Mamluk Egypt: the Khanqah, Schwarz, Berlin, 1988, pp. 23, 24, Homerin, Emil: Saving Muslim Souls: the Khānqāh and the Sufi Duty in Mamluk Lands, Mamluk Studies Review, No. III, (1990), pp. 29-30.

(٣٩) كانت هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد بالقاهرة، وعرفت منذ العصر الفاطمي بدار سعيد السعداء، وتنسب للأستاذ قنبر، أو عنبر الملقب بسعيد السعداء، أحد عتقاء الخليفة المستنصر (المتوفى عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وقد وقفها الناصر صلاح الدين الأيوبي على الصوفية عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م، انظر المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢٨٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٧، ج٢، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٤٠)المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢٨٢.

Fernandes, Leonor: Op.cit, pp. 65, 66.

(٤١) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، حققه محمد الحبيب بن الخوجة، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٢، ج٥، ص ٣١٩؛ المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢٠٤.

(٤٢) المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢١٩؛ أماني بنت سعيد الحربي: مرجع سابق، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤٣) عفاف صبرة: المدارس في العصر الأيوبي من كتاب تاريخ المدارس في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٥٥.

(٤٤) المقريزي: مصدر سابق، ج٢، ص ٥٧٥.

(٤٥) ابن جبير: مصدر سابق، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٤٦) المقريزي: مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٨.

(٤٧) رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٧، ٣٨.

(٤٨) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، حققه الحسن السائح، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، ١٩٦٤، ج١، ص ٢١٦.

(٤٩) ملء العيبة، ج٣، ص ٣٧٤.

(٥٠) بنيت هذه المدرسة في عهد الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وإليه تنسب، وقد بدأ بناؤها عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م، واكتمل هذا البناء عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م. انظر السيوطي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٤.

(٥١) بنيت المدرسة الصالحية في زمن السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل خلال الفترة من سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، حتى عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م. وقد شيدت هذه المدرسة بين القصرين، وكان موقعها في جملة القصر الكبير الشرقي. وقد أوقفها نجم الدين أيوب على المذاهب الفقهية الأربعة. المقريزي: مصدر سابق، ج٤، ص ٢١٧؛ السيوطي: مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٣.

(٥٢) ملء العيبة، ج٣، ص ٢١١.

(٥٣) البادسي: مصدر سابق، ص ١٤، ٧٣.

قيل عن المغرب، إنه "الأرض التي تنبت الصلحاء، كما تنبت الكلأ"، ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، حققه محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥، ص٦٣. وإنه "دار جهاد، وموطن رباط"، الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، حققه محمد الناصري وجعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج٢، ص٣٣.

(٥٤) ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، عربه عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، ١٩٧٧، ص ٥٤؛ عبد العزيز عموري: من تاريخ التصوف بالمغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٧، ص ٣.

(٥٥) جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٥٦) سورة الجمعة، الآية ١٠.

(٥٧) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

(٥٨) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوت عدنان داوودي، دار القلم دمشق& الدار الشامية بيروت، ١٩٩٥، المجلد الأول، ص ١٥٧؛ البغوي: تفسير البغوي "معالم التنزيل"، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ، المجلد الأول،

ص ٢٢٨.

(٥٩) جواتياين: مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٦٠) المقصد الشريف والمنزع اللطيف، ص ٢٠.

(٦١) اليافعي: خلاصة المفاخر في أخبار الشيخ عبد القادر وهو تتمة روض الرياحين في أخبار الصالحين، حققه أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٨٧.
تثبت ترجمة أحد متصوفة المغرب الأقصى خلال القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، أنه اعتمد على نفسه في كسب معاشه، فيذكر أن خلف بن علي بن محمد المغربي (المتوفى عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، والذي كان يقيم بالإسكندرية، رفض الوظائف الحكومية والمناصب، وفضل الرزق من كسب يده، انظر :ابن الملقن: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، حققه مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤، المجلد الأول، ص ٦٣؛ سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(٦٢) يعد أبو الحسن الشاذلي أحد أقطاب التصوف في القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، وتنسب إليه الطريقة الشاذلية، أصله من غمارة ببلاد الريف من المغرب الأقصى، ولد بها سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م. وفي غمارة درس الشاذلي العلوم الدينية، وبرع فيها، انظر ابن عطاء الله السكندري: مصدر سابق، ص ٧٥؛ ابن الصباغ: درة الأسرار وتحفة الأبرار، المطبعة التونسية، تونس، د.ت، ص ٤؛ محمد بوذينة: أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٩، ص ١٣، ١٤.

(٦٣) ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، حققه عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦، ص ٤٥.
Le Tourneau: Op.cit, p.201.

(٦٤) ابن الطواح: سبك المقال لفك العقال، تحقيق ودراسة محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ٢٠٠٨، ص ٨٨، ٨٩؛ جعفر بن الحاج السلمي: ترجمة أبي الحسن الشاذلي في كتاب "سبك المقال لفك العقال"، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، العدد ٥، ١٩٩١، ص ١٢٨.

(٦٥) السيوطي: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٠؛ الشعراني: مصدر سابق، ج٢، ص ٥.

(٦٦) الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حققه عبد الله

الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٤، ص ٨٦، ٨٧؛ عبد الكريم فايزي: أثر الفكر الصوفي لأبي الحسن الشاذلي على بعض الجوانب الاجتماعية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد ١٩، ٢٠١٦، ص ٢١٧، ٢١٨؛ محمد بوذينة: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٦٧) ابن الصباغ: مصدر سابق، ص ١٣٩.

(٦٨) ابن عطاء الله السكندري: مصدر سابق، ص ١٦١؛ عبد الكريم فايزي: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٦٩) هو شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري المرسي، ولد بمرسية من بلاد الأندلس سنة ٦١٦ هـ/١٢٢٠م. تعرف المرسي على الشيخ الشاذلي، ولازم زاويته، وخرج معه إلى الإسكندرية. وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨١م. ابن عطاء الله السكندري: مصدر سابق، ص ٢٣؛ ابن الملقن: طبقات الأولياء، حققه نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٤، ص ٤١٨-٤٢٠؛ السيوطي: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٣؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص ١٩٠، ١٩١.

(٧٠) ابن عطاء الله السكندري: مصدر سابق، ص ٧٧؛ محمد بوذينة: مرجع سابق، ص ٥٦.

(٧١) ابن عطاء الله السكندري: مصدر سابق، ص ٧٧؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٣١٠؛ أحمد فريد المزيدي: قطب المشرق والمغرب سيدي أبو الحسن الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٧٢) التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ١٧٨.

(٧٣) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(٧٤) المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(٧٥) كريمة بنسعاد: الاجتهاد العلمي لصوفية المغرب أصالة وامتداد: من أعلام التصوف المغربي إبان القرن السادس الهجري: أبو الحسن علي بن حرزهم (ت ٥٩٩هـ)، مجلة قوت القلوب، تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد ١، رجب/ يونيو ٢٠١٢، ص ٧١.

(٧٦) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٣٤٨؛ حسين مراد: مرجع سابق، ص ٩٧.

(٧٧) الشعراني: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٣.

(٧٨) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو

ظبي، ٢٠٠١، السفر الثامن (طوائف الفقراء والصوفية)، ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٧٩) ابن الطواح: مصدر سابق، ص ١٣٧، ١٣٧؛ ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨، ص ١٢٣.

(٨٠) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٠٢، ١٠٣؛ الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ١٩٩٧، ص ٢٩١.

(٨١) ابن مخلوف: مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٤.

(٨٢) ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص ٤٤٣؛ السيوطي: مصدر سابق، ج١، ص ٥١٥، ٥١٦.

(٨٣) ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص ١٧٠، ١٧١؛ حسن خضيري: مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٨٤) التميمي الفاسي: مصدر سابق، القسم الأول، ص ١٨٦؛ القسم الثاني، ص ٢٠٢.

(٨٥) محمد الرايس: مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٨٦) يذكر ابن مخلوف أن مدة إقامة التميمي بالمشرق كانت عامًا، انظر: شجرة النور الزكية، ج١، ص ٢٦٣.

(٨٧) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، حققه عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص ١٦١، ١٦٢.

(٨٨) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٤١٠؛ العباس السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، ١٩٧٣، ص ٤٠٥.

لم تكن طول مدة إقامة المتصوفة المغاربة بمصر والمشرق تقتصر على فترة هذا البحث فقط، فيذكر أن موسى بن يحيى بن عبد الله بن حيون (المتوفى عام ٣١٥هـ/٩٢٧م)، رحل إلى المشرق، وأقام به سبع عشرة سنة، انظر ابن الأبار: مصدر سابق، ج٢، ص ١٧٠. وهناك أدلة على طول مدة إقامة بعض علماء المغرب الأقصى بمصر خلال القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، فقد امتد مقام أبي علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشذالي (المتوفى عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م) لمدة عشرين عامًا بالمشرق، انظر: ابن مخلوف: مرجع سابق، ج١، ص ٣١٢.

(٨٩) العمري: مصدر سابق، ص ٣٤١، ٣٤٢؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٩٠) السيوطي: مصدر سابق، ج١، ص ٥٢١، ٥٢٢.

(٩١) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص٢٢٢.

(٩٢) المصدر السابق، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٩٣) أغمات إيلان تقع على بعد بضعة أميال شمال شرق أغمات وريكة، الواقعة على بعد ثلاثين ميلاً شرقي مدينة مراكش بالقرب من جبال الأطلس، وسط بساتين ممتدة تسقيها مياه النهر المنسوب لقبيلة وريكة إحدى قبائل المصامدة. ولم يبق من أغمات إيلان سوى أنقاض. انظر هامش رقم ٤، ورقم ٢٠٩، للأستاذ أحمد التوفيق محقق كتاب: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، ص ٨٤، ١٤٢.

(٩٤) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٩٥) الذهبي: مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

قدم بعض متصوفة المغرب الأقصى دليلاً على زهدهم في أعطيات أرباب السلطة في المغرب، ورفضوا استهلاك طعامهم، فالصوفي أبو داوود مزاحم (المتوفى عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وهو من صلحاء الريف، رفض مالاً كثيرًا عرضه عليه الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي؛ لأنه عالج ابنه. انظر البادسي: مصدر سابق، ص ٥٣-٥٥؛ حليمة فرحات وحامد التريكي: كتب المناقب كمادة تاريخية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨، ص ٥٥.

(٩٦) ابن الشعار الموصلي: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، حققه كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ج٤، ص ٢٦٨؛ محمد بن شريفة: تراجم مغربية من مصادر مشرقية، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦، ص ١٠١، ١٠٢.

(٩٧) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٠٣؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٨١، ٨٢؛ الشراط: مصدر سابق، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(٩٨) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٩٩) القفطي: مصدر سابق، ج١، ص ٧٤.

(١٠٠) ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص ١٧٠، ١٧١؛ الذهبي: مصدر سابق، ج٢٠، ص ٣٤٦.

(١٠١) القفطي: مصدر سابق، ج١، ص ٧٤.

(١٠٢) محمد مؤنس عوض: ملامح عصر أبي الحسن الشاذلي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وتياراته الصوفية بمصر، أعمال ندوة: أبو الحسن الشاذلي وتراثه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المملكة المغربية، ٢٠٠٢، ص ٣٩-٤١.

El Hamel, Chouki: The Transmission of Islamic Knowledge in Moorish Society from the Rise of the Almoravids to the 19th Century, Journal of Religion in Africa, Vol. 29, Fasc. 1, (Feb, 1999), pp. 79, 80.

(103)Amri, Nelly: La Gloire des Saints. Temps du Repentir, Temps de L'espérance au Maghreb "Médiéval": d'après une Source Hagiographique du VIIIe/XIVe Siècle, Studia Islamica, No. 93, (2001), p. 135.

(١٠٤) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠، ج١، ص٤٩، ٥٠.

(١٠٥) المصدر السابق والجزء، ص ١١٣.

(١٠٦) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٨٥؛ محمد مفتاح: مرجع سابق، ص ٣٠.

(١٠٧) الماجل جمعه مآجل، أي الماء الكثير المجتمع. وهو عبارة عن حوض واسع أو بركة أو مستنقع يتجمع فيه الماء إذا كان قليلًا ثم يفجر إلى المزرعة، انظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١١، ص ٦١٦.

(١٠٨) العمري: مصدر سابق، السفر الثامن، ص ٣٤١، ٣٤٢؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(١٠٩) ابن الصباغ: مصدر سابق، ص ٣٣؛ مأمون غريب: أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وأوراده، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١، ٤٣؛ محمد بوذينة: مرجع سابق، ص ٥٥؛ عبد الكريم فايزي: مرجع سابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(١١٠) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(١١١) لم أقف على تاريخ وفاته، لكن يرجح أنه من أهل القرن الثامن للهجرة، يستشف ذلك من تاريخ وفاة أحد تلامذته من متصوفة مصر، وهو الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد الذي توفي عام٨٢٠هـ/١٤١٧م. الشعراني: مصدر سابق، ج٢، ص ١١١.

(١١٢) الشعراني: مصدر سابق، ج٢، ص ١١١.

(١١٣) انظر على سبيل المثال ترجمة أبي زكرياء بن يُوغان الصنهاجي (المتوفى عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م)، الذي اشترط عليه الصوفي محمد بن عبد السلام التونسي لكي يصبح من تلامذته أن يذهب إلى الجبل ويحتطب، ويحمل الحطب على ظهره، حتى يذهب ما فيه من الكبر، فامتثل لأمر الشيخ، فجمع الحطب، وباعه بدينار. ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٢٣.

(١١٤) ابن جبير: مصدر سابق، ص ٣٣؛ ابن الملقن: طبقات الأولياء، ص ١٩٠-١٩٥.

(١١٥) ابن الجوزي: صفوة الصفوة، حققه أحمد علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٠، ج٢، ص ٤٢١، ٤٢٢؛ السيوطي: مصدر سابق، ج١، ص ٥١٤؛ الشعراني: مصدر سابق، ج١، ص ١٤٤، ١٤٥.

(١١٦) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٨٥؛ محمد مفتاح: مرجع سابق، ص ٣٠.

(١١٧) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(١١٨) العسكري: أخبار المصحفين، حققه صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٢؛ السمعاني: الأنساب، حققه عبد الرحمن اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٦٢، المجلد ١٣، ص٣٠٠؛ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط العربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩١، ص ١١؛ علي بن إبراهيم النملة: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥، ص ٣٠.

(١١٩) الصفدي: الوافي بالوفيات، حققه أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، ج٧، ص ٨١؛ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، ص ٢٤؛ علي بن إبراهيم النملة: مرجع سابق، ص ٧٠.

(١٢٠) القفطي: مصدر سابق، ج١، ص ٧٤؛ ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص ١٧٠، ١٧١؛ الذهبي: مصدر سابق، ج٢٠، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ الصفدي: مصدر سابق، ج٧، ص ٨٠، ٨١؛ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ج١، ص ٦٩؛ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، ص ٢٤.

(١٢١) ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص ١٧٠، ١٧١؛ حسن خضيري: مرجع سابق، ص ١٦٧.

(١٢٢) المقريزي: مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٨.

(١٢٣) ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص ١٧٠؛ الذهبي: مصدر سابق، ج٢٠، ص ٣٤٥؛ العمري: مصدر سابق، السفر الثامن، ص ٣٢٠.

(١٢٤) يجب الأخذ في الاعتبار أن الأسماء المعتمدة في تراجم الصوفية كانت لها دلالات واقعية، فالخراز، والناسخ، وغيرها من التراجم التي نسبت أصحابها إلى حرف بعينها تدل فعلاً على اشتغال هؤلاء المتصوفة بتلك الحرف، أو أنها تدل على سلوكهم ونهجهم في الحياة، بل وحتى صفاتهم الخُلُقية. فقد قدم ابن الزيات التادلي برهانًا على أن أبا زكرياء يحيى بن لا الأذى كان يتحرى فعليًا

عدم الإيذاء قدر إمكانه، بدليل أنه لما أصاب قنفذًا بمنجله خطأً أثناء قطعه لشجر السدر، تأسف لهذا، وتعهد هذا القنفذ بالرعاية والطعام حتى شفي جرحه. راجع: التشوف، ص ٨٥؛ محمد مفتاح: مرجع سابق، ص ٣٥.

(١٢٥) التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٣٠٩.

(١٢٦) الأدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، حققه سعد محمد حسن وراجعه طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص ٤٧٨؛ الصفدي: مصدر سابق، ج٢، ص ٧، ٨.

(١٢٧) البادسي: مصدر سابق، ص ٧٩.

(١٢٨) المصدر السابق، ص ٧١-٧٢، ٧٧.

(١٢٩) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(١٣٠) الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص ٢٦٢.

(١٣١) العزفي: مصدر سابق، ص ٤٦، ٤٧.

(١٣٢) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(١٣٣) ابن عطاء الله: مصدر سابق، ص ٧٣؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ٣١٨؛ أحمد المزيدي: مرجع سابق، ص ٤٠.

(١٣٤) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(١٣٥) المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(١٣٦) المصدر السابق، ص ١٠٢، ١٠٣؛ الشراط: مصدر سابق، ص ٢٩١.

(١٣٧) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٠٣؛ التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ٨١، ٨٢؛ الشراط: مصدر سابق، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

(١٣٨) المقريزي: مصدر سابق، ج٣، ص ٦٠٤.

(١٣٩) يشير مصطلح السيمياء إلى كل ما هو غير حقيقي ويعتمد على السحر، وحاصله أحداث خيالية لا وجود لها في الواقع. انظر: صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ج٢، ص٣٣٢. وقد عرفه البعض بأنه علم تسخير الجن، ويتفرع منه أيضًا المعرفة بأسرار الحروف. انظر ابن خلدون: "المقدمة" وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة،

دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ٦٦٤؛ محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، حققه رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦، ج١، ص ٩٩٩.

(١٤٠) ابن خلدون: مصدر سابق، ج١، ص ٦٦٤.

(١٤١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص ٦٢، ٦٣.

(١٤٢) التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص ١٧٧.

(١٤٣) ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ٤٢٢.

(١٤٤) المصدر السابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(١٤٥) يمكن الاستدلال في هذا السياق بما ورد في ترجمة أبي جبل يعلى الفاسي (المتوفى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م)، الذي فقد الطريق في صحراء الإسكندرية، ونفذ زاده، فلقي رجلاً مصفرًا، ناوله رغيفين وغاب عنه. ابن الزيات التادلي: مصدر سابق، ص ١٠١، ١٠٢. وتدل ترجمة أبي علي مالك الهزميري (المتوفى عام ٦١٢هـ/١٢١٥م) على نفس المعنى، فيروى أن هذا الصوفي لما توجه للحج وفقد طريقه في صحراء عيذاب، كاد يهلك من الجوع، وصار لا يبصر شيئًا من شدة الجوع، فتحسس صفحة طعام بيده، فأكل منها حتى أبصر، فلم يجد هذه الصفحة. ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(١٤٦) Amri, Nelly: Le Corps du Saint dans L'Hagiographie du Maghreb Medieval: The Saint's Body in Medieval Maghribi Hagiography, Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, Numéros 113-114, (Novembre, 2006), pp. 60, 61, El Hamel, Chouki: Op.cit, pp.73, 79.

(١٤٧) تدل لفظة طائفة على اتحاد الحرفيين أو التجار الذي يشرف على أعمال أفرادها من أجل الارتقاء بمستوى الحرفة وأبناءها، ووضع قواعد معينة وإجراءات لتعليم من هم تحت التدريب وتدريبهم داخل الطائفة. كما كانت الطائفة تحمي أفرادها ضد المنافسات الخارجية، انظر جواتياين: مرجع سابق، ص ١٧٥.

(١٤٨) التميمي الفاسي: مصدر سابق، القسم الأول، ص ١٩٤، ١٩٥.

(١٤٩) Amri, Nelly: Le Corps du Saint, pp. 63, 64.

عبد السلام غرميني: مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(١٥٠) إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة ومطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ١٩٨٧، ص ٣٣٢؛ علي علام: ظاهرة التصوف في مغرب ما قبل

الحماية، مجلة نوافذ، المغرب، العدد ٣١، ٢٠٠٦، ص ٦٩؛ شرويك الأمين: انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء ٢٠١٧، ص٩٧.

(١٥١) Ephrat, Daphna: Op.cit, p. 71.

(١٥٢) محمد الرايس: تأثير مدرسة أبي الغوث بمصر خلال القرنين الهجريين السادس والسابع، في عبد الجواد السقاط وأحمد السليماني: "التواصل الصوفي بين مصر والمغرب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، ٢٠٠٠، ص١٦٨، ١٦٩.

(١٥٣) أحمد التوفيق: التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨، ص ٨٥.

(154) Aigle, Denise: Essai sur Les Autorités Religieuses dans L'Islam Medieval Oriental, dans D. Aigle (dir.): Les Autorités Religieuse entre Charisme et Hiérarchie, Approches Comparatives, Turnhout, Brepols, 2011, p. 33.

(١٥٥) محمد مفتاح: الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨، ص ٢٩، ٣٢؛ محمد القبلي: حول بعض مضمرات التشوف، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨، ص ٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية:

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م):

التكملة لكتاب الصلة، حققه عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

أحمد بابا (أبو العباس أحمد بابا التنبكتي، ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٩.

الأدفوي (كمال الدين جعفر بن ثعلب، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، حققه سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

ابن إياس (زين العابدين محمد بن أحمد، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):

بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠.

البادسي (عبد الحق بن إسماعيل، كان حيًا سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م):

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، حققه أحمد سعيد، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣.

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

البغوي (الحسين بن مسعود، ت ٥١٠هـ/١١١٦م):

تفسير البغوي "معالم التنزيل"، حققه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ.

البلوي (خالد بن عيسى، ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م):

تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، حققه الحسن السائح، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، ١٩٦٤.

التادلي الصومعي (أبو العباس أحمد بن أبي القاسم، ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤م):

كتاب المُعْزَى في مناقب الشيخ أبي يعزَى، حققه علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المملكة المغربية، ١٩٩٦.

التميمي الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم، ت ٦٠٣هـ/١٢٠٦م):

المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، حققه محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المملكة المغربية، ٢٠٠٢.

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي، ت ٦١٤هـ/١٢١٧م):

تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار، حققه وقدم له علي كنعان، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف، ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م):

غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦.

الجزيري (عبد القادر بن محمد، ت حوالي ٩٧٧هـ/١٥٦٩م):

درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

صفوة الصفوة، حققه أحمد علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٠.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

المقدمة وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.

الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م):

مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

ابن رشيد (محمد بن رشيد الفهري السبتي، ت ٧٢١هـ/١٣٢١م):

ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، حققه محمد الحبيب بن الخوجة، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٢.

ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى، كان حيًا في الربع الأول من القرن ٧هـ/١٣م):
التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، حققه أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط٢، ١٩٩٧.

الساحلي (محمد بن محمد أبو عبد الله المُعمم الأنصاري، ت ٧٥٤هـ/١٣٥٣م):
بغية السالك في أشرف المسالك، حققه عبد الرحيم العلمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ٢٠٠٣.

السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):
الأنساب، حققه عبد الرحمن اليماني وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٦٢.

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٧.

الشراط (أبو عبد الله محمد بن عيشون، ت ١١٠٩هـ/١٦٩٧م):
الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ١٩٩٧.

ابن الشعار الموصلي (المبارك بن أحمد أبي بكر بن حمدان، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م):
قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، حققه كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

الشعراني (الإمام عبد الوهاب الشعراني، ت ٩٧٣هـ/١٥٦٥م):
كتاب الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، حققه أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥.

ابن الصباغ (محمد بن أبي القاسم الحميري، ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):
درة الأسرار وتحفة الأبرار، المطبعة التونسية، تونس، د.ت.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
الوافي بالوفيات، حققه أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.

ابن الطواح (عبد الواحد محمد بن الطواح، ت بعد ٧١٨هـ/١٣١٨م):

سبك المقال لفك العقال، تحقيق ودراسة محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ٢٠٠٨.

العزفي (أبو العباس، ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م):

دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، حققه أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٩.

العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله، ت ٣٨٢هـ/٩٩٢م):

أخبار المصحفين، حققه صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦.

العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حققه بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١.

ابن عطاء الله السكندري (أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، حققه عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦.

القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م):

إنباه الرواة على أنباه النحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٢.

ابن قنفذ (أحمد بن حسن القسنطيني، ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م):

أنس الفقير وعز الحقير، حققه محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥.

ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت بعد ١٠٢٥ هـ/١٦١٦م):

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨.

المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م):

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

ابن الملقن (سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري، ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م):

- طبقات الأولياء، حققه نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٤.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، حققه مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤.

ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ت ٧١١هـ/١٣١١م):

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ/١٠٧٥م):

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوت عدنان داوودي، دار القلم دمشق& الدار الشامية بيروت، ١٩٩٥.

اليافعي (عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي، ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م):

خلاصة المفاخر في أخبار الشيخ عبد القادر وهو تتمة روض الرياحين في أخبار الصالحين، حققه أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢.

ثانيًا- المراجع عربية والمعربة:

إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة ومطبعة النجاح الجديدة، المملكة المغربية، ١٩٨٧.

إبراهيم القادري بوتشيش: إسهامات في التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، المملكة المغربية، ١٩٩٧.

أحمد التوفيق: التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨.

أحمد عبد اللطيف حنفي: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي (٢١-٥٦٧هـ/٦٤٢-١١٧١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، الإصدار رقم ٢٤٥، القاهرة، ٢٠٠٦.

أحمد فريد المزيدي: قطب المشرق والمغرب سيدي أبو الحسن الشاذلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧.

جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠.

حسن جلاب: مظاهر تأثير صوفية مراكش في التصوف المغربي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٩٩٤.

حسن خضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٣-١١٧١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.

الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، المملكة المغربية، ط ٢، ٢٠٠٢.

حسين مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ٢٠٠١.

حليمة فرحات وحامد التريكي: كتب المناقب كمادة تاريخية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨.

سعد زغلول عبد الحميد: الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى، ضمن كتاب "مجتمع الإسكندرية عبر العصور"، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥.

سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.

صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م): أبجد العلوم: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

العباس السملالي (كان حيًا في القرن ١٣هـ/١٩م): الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، ١٩٧٣.

عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، المملكة المغربية، ٢٠٠٠.

عبد العزيز بنعبد الله: معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب، الرباط، ١٩٦٣.

عبد العزيز عموري: من تاريخ التصوف بالمغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٧.

عفاف صبرة: المدارس في العصر الأيوبي من كتاب تاريخ المدارس في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

علي بن إبراهيم النملة: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥.

الكتاني (الشريف أبو عبد الله جعفر بن إدريس، ت ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حققه عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠٠٤.

ليفي بروفنصال: مؤرخو الشرفاء، عربه عبد القادر الخلادي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، ١٩٧٧.

مأمون غريب: أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وأوراده، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.

محمد بوذينة: أبو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، تونس، ١٩٨٩.

محمد الرايس: تأثير مدرسة أبي الغوث بمصر خلال القرنين الهجريين السادس والسابع، في عبد الجواد السقاط وأحمد السليماني: "التواصل الصوفي بين مصر والمغرب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، ٢٠٠٠.

محمد بن شريفة: تراجم مغربية من مصادر مشرقية، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

محمد علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م): كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، حققه رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦.

محمد القبلي: حول بعض مضمرات التشوف، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨.

محمد الكحلاوي: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، منشورات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٤.

محمد مفتاح: الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية التاريخية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٨٨.

محمد المنوني:

- من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان، ١٩٥٣.
- تاريخ الوراقة المغربية صناعة المخطوط العربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩١.

محمد مؤنس عوض: ملامح عصر أبي الحسن الشاذلي ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وتياراته الصوفية بمصر، أعمال ندوة: أبو الحسن الشاذلي وتراثه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المملكة المغربية، ٢٠٠٢.

ابن مخلوف (محمد بن محمد بن عمر قاسم، ت ١٣٦٠هـ/١٩٤١م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد، ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، حققه محمد الناصري وجعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

يحيى بو عزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥.

ثالثًا– المراجع الأجنبية:

Aigle, Denise: Essai sur Les Autorités Religieuses dans L'Islam Medieval Oriental, dans D. Aigle (dir.): Les Autorités Religieuse entre Charisme et Hiérarchie, Approches Comparatives, Turnhout, Brepols, 2011.

Fernandes, Leonor: The Evolution of a Sufi Institution in Mamluk Egypt: the Khanqah, Schwarz, Berlin, 1988.

رابعًا– الدورياتالعربية:

جعفر بن الحاج السلمي: ترجمة أبي الحسن الشاذلي في كتاب "سبك المقال لفك العقال"، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، العدد ٥، ١٩٩١.

الحسن بنعبو: الجمع بين السلوك والفقه عند صوفية المغرب، مجلة قوت القلوب، تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد الرابع، ٢٠١٤.

شرويك محمد الأمين: انتقال التصوف إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة آفاق فكرية، العدد السادس، شتاء ٢٠١٧.

عبد العزيز الضعيفي: علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الاستفادة والإفادة، مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٩، ٢٠٠٤.

عبد الكريم فايزي: أثر الفكر الصوفي لأبي الحسن الشاذلي على بعض الجوانب الاجتماعية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد ١٩، ٢٠١٦.

علي علام: ظاهرة التصوف في مغرب ما قبل الحماية، مجلة نوافذ، المغرب، العدد ٣١، ٢٠٠٦.

كريمة بنسعاد: الاجتهاد العلمي لصوفية المغرب أصالة وامتداد: من أعلام التصوف المغربي إبان القرن السادس الهجري: أبو الحسن علي بن حرزهم (ت ٥٩٩هـ)، مجلة قوت القلوب، المغرب، العدد ١، رجب/ يونيو ٢٠١٢.

محمد الحاتمي: شعيرة الحج في الرحلات الحجية السوسية، مجلة المذهب المالكي، المغرب، العدد ١٤، ٢٠١٢.

محمد علوي بنصر: مقاصد الحج وغاياته في أول ركب للحجيج المغربي نظمه أبو محمد صالح الدكالي سنة ٦٣١هـ، مجلة دعوة الحق، المملكة المغربية، السنة ٤١، العدد ٣٥٠، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

المهدي بن محمد السعيدي: أشكال الكتابة الرحلية بالمغرب ومكوناتها المعرفية: نماذج سوسية، المملكة المغربية، مجلة فكر ونقد، العدد ٨٧، ٢٠٠٧.

نوال طلال عبد الله: طريق ركب حجاج المغرب والأندلس من المغرب الأقصى إلى مكة المكرمة منذ القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري، مجلة العقيق، المملكة العربية السعودية، تصدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، المجلد ٢١، العدد ٤١-٤٢، شوال-يناير، ٢٠٠٢.

خامسًا- الدوريات الأجنبية:

Amri, Nelly:

- La Gloire des Saints. Temps du Repentir, Temps de L'espérance au Maghreb "Médiéval": d'après une Source Hagiographique du VIIIe/XIVe Siècle, Studia Islamica, No. 93, (2001).
- Le Corps du Saint dans L'Hagiographie du Maghreb Medieval: The Saint's Body in Medieval Maghribi Hagiography, Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée, Numéros 113-114, (Novembre, 2006).

Cahen, Claude: Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie musulmane du Moyen âge, III, Arabica, T. 6, Fasc. 3 (Sep., 1959).

El Hamel, Ch: The Transmission of Islamic Knowledge in Moorish Society from the Rise of the Almoravids to the 19th Century, Journal of Religion in Africa, Vol. 29, Fasc. 1, (Feb, 1999).

Ephrat, Daphna: In Quest of an Idea Type of Saint: Some Observations on the First Generation of Moroccan Awliyā' Allāh in "Kitāb al-tashawwuf", Studia Islamica, No.94, (2002).

Homerin, Emil: Saving Muslim Souls: the Khānqāh and the Sufi Duty in Mamluk Lands, Mamluk Studies Review, No. III, (1990).
Rodríguez-Mañas: Encore sur la Controverse entre Soufis et Juristes au Moyen âge: Critiques des Mécanismes de Financement des Confréries Soufies, Arabica, T. 43, Fasc. 3 (Sep, 1996).
Le Tourneau, R: Sur la Disparition de la Doctrine Almohade, Studia Islamica, No. 32, (1970).

سادسًا– الرسائل الجامعية:

أحمد السيد زيادة: التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨–٥٦٧ هـ/٩٦٩–١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠٠٧.

أماني بنت سعيد الحربي: مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ ١٣–١٤م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٥.

جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، ٢٠١٥.